وزارة التعليـم العـالي والبحث العلمي

جـامعـة غـرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

الأسطول البحري الجزائري خلال العهد العثماني

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة: أمـــال القروي

إشراف الاستاذة: رحيـمة بيـشي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	المهمة
فاطمة الزهراء حوتية	أستاذ محاضر "ب"	رئيسا
رحيمة بيشي	أستاذ مساعد "أ"	مشرفا ومقرراً
ناصر بلحاج	أستاذ محاضر "أ"	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1441-1442هـ/2021-2022م

وزارة التعليـم العـالي والبحث العلمي

جـامعـة غـرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

الأسطول البحري الجزائري خلال العهد العثماني

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة: أمـــال القروي

إشراف الأستاذة: رحيمة بيشي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	المهمة
فاطمة الزهراء حوتية	أستاذ محاضر "ب"	رئيسا
رحيمة بيشي	أستاذ مساعد "أ"	مشرفا ومقرراً
ناصر بلحاج	أستاذ محاضر "أ"	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1441-1442هـ/2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ
لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
سُورَةُ الجَاثِيَة ٤٥

قائمة المختصرات

القسم العربي:

الرمز	المعنى	الرمز	المعنى
ج	جزء	ط خ	طبعة خاصة
ص	صفحة	د ط	دون طبعة
ص ص	صفحات متلاحقة	د.ت	دون تاريخ الطبع
ط	طبعة	تعر	تعريب
تق	تقديم	تح	تحقيق
تع	تعليق	م .و. ك	المؤسسة الوطنية للكتاب

القسم الأجنبي:

بالفرنسية	
N°	Numéro
P	Page
PP	Pages successives
T	Tome
VOL	Volume
Ibid.	Dans le Même Ouvrage
Op.cit.	Ouvrage précité
R.A	Revue Africaine
Edit	Edition
R O M M	Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée

كلمة شكر

﴿وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ الآية 7 سورة إبراهيم

بسم الله والحمد لله كثيرا، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين ونشكره عز وجل شكرا كثيرا على إنهاء هذه المذكرة بقلب مليء بالامتنان والعرفان والتقدير.

إنني أتقدم بأسمى معاني الشكر والتقدير والامتنان والمحبة إلى الذين حملوا أنبل رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع الأساتذة الأفاضل.

وأخص خالص شكري وتقديري وثنائي لأستاذتي رحيمة بيشي التي كانت قنديلا هداني في عتمة الطريق، وسراجا أنارت لي ملامح السبيل بنصائحها وإرشاداتها.

كما أقدم شكر خاص إلى من مد لنا يد العون في سبيل إنجاز هذا العمل ونخص بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا

وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا.

كما لا ننسى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد.

أمال القروي

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير أبي الغالي

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان

إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي

وحنانها بلسم جراحي أمي الحنونة

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله إلى من آثروني على أنفسهم

إلى من علموني علم الحياة إلى من أظهروا لي ما هو أجمل

في الحياة إخوتي

إلى كل العائلة الكريمة دون استثناء

إلى حبيبتي وقرة عيني لجين

مقدمة

مقدمة

عرف الحوض الغربي للبحر للمتوسط صراعا كبيرا بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية كانت نتيجته امتداد النفود العثماني إلى غربه، ولعل أهم ما عرفته هده المنطقة هو إلحاق المغرب الأوسط بالسلطة العثمانية فأصبح يحمل لقب "إيالة الجزائر" بداية من القرن السادس عشر ميلادي ، حيث أضحت الجزائر منذ مطلع هذا القرن محل أطماع العديد من القوى الأوروبية التي سعت لاحتلالها من خلال شن العديد من الحملات العسكرية ضدها، غير أن حكام الجزائر أدركوا حجم الأخطار من خلال دفع هذا العدوان عن طريق تركيزهم على البحر والاهتمام بصناعة السفن وتطوير وتجهيز القطع البحرية ، وكانت نتيجة ذلك أن الأسطول البحري شكل محورا أساسيا في القوة العسكرية وجعل منها قوة بحرية رائدة وكانت نواة تشكلها بداية القرن السادس عشر، وشهدت أوجها خلال القرن السابع عشر لتحتل الجزائر بذلك مكانة دولية أقامت من خلالها علاقات مع القوى الكبرى العالمية، ويرجع الفضل في كل ذلك إلى القوة البحرية التي كان لها دور كذلك في الجانب الاقتصادي من خلال توفيرها لمصادر التمويل منها: الاتاوات والغنائم البحرية والهدايا، وأيضا من خلال التركيز على التمويل الذاتي في مجال صناعة القطع البحرية، واعداد ورشات تفكيك وتركيب السفن والاهتمام بالصناعة الحربية، وانطلاقا من ذلك جاءت دراستنا موسومة بعنوان: "**الأسطول البحري الجزائري خلال العهد العثماني**".

حدود الدراسة

- **الإطار المكاني**: فموضوع الدراسة يشمل الجزائر من خلال دراسة تطور الأحداث في سواحل وموانئ الإيالة باعتبارها جزء من منطقة بلاد المغارب وحوض البحر المتوسط.
- **الإطار الزماني** :فترة الوجود العثماني بالجزائر 1519م إلى غاية 1830م.

أسباب اختيار الموضوع

- **ذاتية**: في التعرف على الصورة العامة للجزائر ودور الأسطول البحري في فرض هيبة الجزائر على الصعيد الدولي.

-ميلي للدراسات الخاصة بالفترة الحديثة لبلاد المغرب عموما والوجود العثماني في الجزائر على وجه الخصوص.

-**موضوعية:** التعرف على دور الأسطول البحري في رسم معالم هيبة الجزائر وشخصيتها على المستوى الدولي، وتقييم عمل الاسطول وتأثيره على الإيالة خاصة في مرحلة القوة والضعف.

الإشكالية:

يرتكز الموضوع في معالجة الإشكالية المتمثلة في السؤال الآتي:

- ما هو دور الأسطول البحري الجزائري في فرض هيبة الجزائر الدولية؟

اندرجت تحتها جملة من الأسئلة الفرعية:

- ما ظروف انضمام الجزائر للدولة العثمانية؟
- ما ظروف وعوامل نشأة الأسطول البحري الجزائري؟
- ماهي مراحل تطور الأسطول الجزائري؟
- فيما تمثل نشاط الأسطول، وكيف ساهم في إثراء خزينة الدولة الجزائرية؟
- ما عوامل تراجع وانهيار الأسطول وتحطمه؟

خطة البحث:

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعت خطة احتوت على: مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة.

ففي **الفصل الأول** الذي جاء تحت عنوان: **أوضاع المغرب الأوسط نهاية القرن الخامس عشر،** تناولت فيه الظرفية التاريخية للمغرب الأوسط والحوض المتوسطي نهاية القرن الخامس عشر (15) وبداية القرن السادس عشر(16)، وتطرقت فيه أيضا للاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية، بالإضافة إلى بروز الإخوة بربروسا كقوة بحرية وانضمام الجزائر للدولة العثمانية.

أما **الفصل الثاني** فجاء بعنوان: **كرونولوجيا تشكل الأسطول وأدواره المختلفة،** وقفت فيه على تشكل وتطور نشاط الأسطول البحري، ودراسة الموارد البحرية للأسطول ودورها الاقتصادي وعرجت فيه بعد ذلك على طبيعة العلاقات الخارجية للجزائرية العثمانية.

وفي **الفصل الثالث** المعنون ب: **عوامل تراجع الأسطول آثاره على مكانة الجزائر العثمانية،** وفيه تناولت الحملات الأوروبية التي ساهمت في تقييد وتراجع عمل الأسطول، بالإضافة إلى المؤتمرات

الدولية والبحرية الجزائرية و تراجعها من خلال فرض قيود على عملها، وأنهيت الفصـــل بمعركة نافرين أثرها في تحطم الأسطول البحري الجزائري ونهاية الإيالة باحتلالها.

وذيّلت المذكّرة بخاتمة، ضمنّتها أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي هذه، ثم أتبعت الخاتمة بملاحق وقائمة المصادر والمرجع المعتمدة.

الأهمية والأهداف:

- إبراز الصورة العامة لطبيعة الوجود العثماني في الجزائر وظروفه من خلال إبراز دور الإخوة بربروسا في ذلك.
- التعرف على نشأة وتطور الأسطول البحري الجزائري ودوره على الصعيد المحلي والخارجي في شتى المجالات عسكريا، اقتصاديا، وديبلوماسيا.
- التعرف على الدور الذي لعبته الحملات الأوروبية في الحد من عمل الأسطول وأثر المعاهدات في تقييد عمله، خاصة في مجال الأسر، القرصنة كونهما أحد عوامل إثراء الخزينة، وأيضا دور معركة نافرين في تحطم الأسطول البحري الجزائري مما ساعد في احتلال الجزائر من قبل فرنسا.

الدراسات السابقة:

لقد جلب موضوع البحرية الجزائرية اهتمام عديد الباحثين وتجدر الإشارة إلى أن هناك دراسات تاريخية هامة خصت الاسطول البحري الجزائري بكثير من الاهتمام ونتفق ونتقاطع معها في العديد من الآراء التاريخية، وقد اعتمدت في هذه الدراسة بعض أطروحات الدكتوراه وبعض مذكرات الماستر نذكر منها أطروحة دكتوراه لسرحان حليم بعنوان صناعة السفن الجزائرية في العهد العثماني، وأطروحة لسمير مشوشة بعنوان الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين 11-12هـ/17-18م والتي نوقشت في الموسم الدراسي 2018-2019، رسالة ماجستير الموسومة بعنوان نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية لعطلي محمد الأمين والتي نوقشت في الموسم الدراسي 2011-2012، كذلك مذكرة مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات (حروب اليونان نموذجا 1821-1829) لـ: حكيمة حدون وخديجة بن رنجة.

المنهج المعتمد:

في الحقيقة أن المنهج المتبع في هذه الدراسة ليس منهجا واحدا إنما استخدمت عدة مناهج، وذلك بحسب الموضوع المعالج والإشكاليات المطروحة بخصوصه، فالتوجه الجديد الذي يعرفه البحث التاريخي من حيث إدخال واستغلال عدة مناهج في فروع البحث العلمي، فرض علينا استخدام مناهج مساعدة لضبط محاور الموضوع من مختلف جوانبه.

استخدمت المنهج التاريخي لأهميته في ذكر أوضاع المغرب الاسلامي نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس والاحتلال الاسباني وكذا ظروف انضمام الجزائر للدولة العثمانية ودور الاخوة بربروسا من خلال تتبع الوقائع، واتبعنا المنهج السردي الذي يعتمد على ذكر الأحداث التاريخية وترتيبها وفق منظورها الكرونولوجي، وقد وظفت هذا المنهج في أغلب فصول هذه المذكرة. هذا المنهج ارتبط كثيرا بمنهج آخر وهو المنهج الوصفي والذي استخدمته في وصف الوقائع والأحداث التاريخية ومختلف المواقف من خلال حقائقها التاريخية، واتبعنا المنهج التحليلي الذي استعنت به في تحليل ما في تحليل بعض المعطيات وما توثق لدينا من نصوص تاريخية والمعاهدات لأجل التعرف على مدى تأثيرها على دور البحرية، وكذا المنهج الإحصائي في إحصاء سفن الأسطول البحري خلال العهد العثماني، ونسبة الغنائم، وعدد الأسرى.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- **مذكرات خير الدين** بربروس لمجهول ترجمه للعربية محمد دراج يتحدث الكتاب عن أصل بربروسا وجهادهم البحري في حوض المتوسط واستقرارهم في سواحل شمال افريقيا وتأسيس إيالة الجزائر، لينتهي الكتاب بالحديث عن حملة شارلكان على مدينة الجزائر 1541م.
- **مذكرات أحمد الشريف الزهار** نقيب أشراف الجزائر حققه المؤلف أحمد توفيق المدني، ويعد من المصادر المهمة للفترة المتأخرة من العهد العثماني وتناول فيه العديد من الحكام وأعمالهم وأهم الاحداث التي جرت في عهدهم.

- **المرآة لحمدان بن عثمان خوجة** ترجم للعربية لأول مرة من قبل محمد بن عبد الكريم، وترجم مرة ثانية من قبل محمد العربي الزبيري ويعتبر مصدرا مهما لنهاية الحكم العثماني بداية السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر.
- **مذكرات كاثكارت (جيمس ليندر)** من أصل أمريكي وقع في أسر البحارة الجزائريين في البحر المتوسط سنة 1785م، وعين بعد تحريره قنصلا لأمريكا في إيالة الجزائر ودون العديد من المعلومات عن الجزائر منها الحياة الاجتماعية ، الأسرى في الجزائر وتحدث عن الحكم والإدارة ترجم كتابه الأستاذ إسماعيل العربي.
- De Haedo Fray Diego: Topographie et Histoire générale d'Alger, et De la captivité à Alger, et Histoire des rois d'Alger.

تاريخ ملوك الجزائر و طبوغرافيا التاريخ العام لمدينة الجزائر لدييغو دي هايدو الذي كان أسيرا بالجزائر بين سنتي 1578-1581م الكتاب الأول الذي ترجمه إلى الفرنسية دو غرامون ذكر فيه أزيد من ثلاثين حاكما للجزائر والثاني ترجمه للفرنسية بربريغر ومونرو وصف فيه الكثير من الأوضاع لمناطق كثيرة في الجزائر والكتاب الثالث حول الأسر وصف فيه أوضاع الأسرى ومعاملتهم.

- La pierre Dan : Histoire de Barbarie et de ses Corsaires.

تاريخ باربارايا وقراصنتها (الجزائر) للراهب بيبار دان الذي كلفته الكنيسة الفرنسية بافتداء الأسرى الفرنسيين بالجزائر سنة 1634م وتحدث فيه عن أتراك الجزائر والإسلام والمسيحية بالجزائر والقرصنة البحرية ومعاملة الجزائريين للأسرى وأوضاعهم.

- Venture De Paradis: Alger au 18^{e} Siècle et Tunis, Et Alger Au 18 eme siècle.

فنتير دي بارادي وله كتابين **تونس والجزائر في القرن 18م** وهو عبارة عن تقارير عديدة، تتضمن معلومات غزيرة عن الحياة السياسية والاقتصادية عامة والناحية الثقافية خاصة، وقد جمعها الفرنسي جوزيف كوك، و**الجزائر خلال القرن 18م** التي زارها سنة 1789م وقدم معلومات قيمة وذكر عدد السكان والفئات الاجتماعية فيها.

- **مذكرات القنصل الامريكي وليام شالر** الذي يعد من رواد الدبلوماسية الأمريكية، شغل منصب قنصل في الجزائر ما بين سنة 1824 - 1816 م، وهذا المصدر متأخر قليلا إلا أنه يضم حقائق

وشهادات يمكن الاستفادة منها في التاريخ الحديث وقد استقينا منه معلومات تخص الناحية السياسية والاجتماعية.

أما **عن المراجع**:

- **محمّد دراج**: الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس الطبعة الثانية والثالثة من تصدير الأستاذ ناصر الدين سعيدوني إذ يعتبر مرجعا مهما في جهود الإخوة في تحرير السواحل الجزائرية وتأسيس إيالة الجزائر، وقد استعنت به في الفصل الأول الذي خصصته لظروف الوجود العثماني في الجزائر.
- **جون ب .وولف**: الجزائر وأروبا للكاتب الأمريكي ترجمه وعلّق عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي قام بتبويب الكتاب إلى ستة عشر فصل والكتاب يدوس أوضاع المغرب الاسلامي قبل الوجود العثماني وبعده وخاض في عديد من المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية منها نظام الحكم، الأسرى، القرصنة البحرية، الضرائب، واستعنت به في الفصل الأول والثالث.
- **عبد القادر فكاير**: الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره عبارة عن مرجع مهم خاصة أنّه يتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذا الغزو وتطرق المؤلف لظروف المغرب الأوسط وانضمام الجزائر للدولة العثمانية ودورها في تحرير السواحل من الاحتلال الاسباني واستعنت به في الفصل الأول.

الصعوبات المعترضة:

لا يخلو أي بحث من الصعوبات والتي تعود أساسا لطبيعته نذكر منها:

- صعوبة الموضوع من ناحية الدراسة خاصة اختلاف الأحداث وتشابكها.
- تناول الموضوع في الدراسات وتشابه العناوين يجعل الباحث يقع في التكرار.
- صعوبة الربط لتشابك وتشابه المواضيع في الكتابات.
- صعوبة البحث في المصادر وضيق الوقت.

وفي الأخير، فإن أصبت في شيء من هذه الدراسة فالتوفيق من الله وحده وأتمنى أن أكون قد قدّمت بدراستي لهذا الموضوع مقدمة لما سيأتي بعدها، كونها جهد متواضع يحتاج إلى مجهودات أخرى، وآمل أن أكون عند حسن ظن أستاذتي المشرفة، وأضع هذه الدراسة أمام أساتذتي الأفاضل الذين وكل إليهم مناقشة وتقويم وتصويب هذه المذكرة والله ولي التوفيق وعليه التوكّل.

الفـــــصـــــل الأول

أوضاع المغرب الأوسط نهاية ق 15م وبداية القرن 16م

المبحث الأول: الظرفية التاريخية للمغرب الأوسط وأهمية الحوض المتوسطي

المبحث الثاني: الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية

المبحث الثالث: بروز الإخوة بربروس كقوة بحرية وانضمام الجزائر للدولة العثمانية

بلغ التفكك السياسي لبلاد المغرب أقصاه نهاية القرن الخامس عشر (15م) وبداية القرن السادس عشر(16م)، فرسم فسيفساء من الإمارات المتناثرة هنا وهناك والتي لم يكن لها أي كيان سياسي موحد، وعجزت دويلات المنطقة عن توحيد جهودها في دحر ودفع الخطر الإسباني البرتغالي، ما سهل على هاتين الدولتين غزو البلاد باستمرار واحتلال أجزاء منها ، نتيجة الصراع المتوازن بين المرنيين والزيانيين والحفصيين، الشيء الذي لم يمنح أي فرصة لأي عصبيّة للوصول إلى الحكم وتوحيد المغرب العربي الإسلامي، وبدوره ساهم في زرع بذور تقسيم المنطقة من جهة، والّذي تزامن مع بروز الصراع العثماني الأوروبي في السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط، مما أدى إلى سقوط المغرب ضحية هاتين القوتين، اللتين تعتبران فصلا مكملا لفصول الحروب الصليبية التي توقفت في المشرق الإسلامي لتبدأ بمغربه، فبعد أن احتلت أهم الموانئ والمدن الساحلية سعت للقضاء على الإمارات الداخلية، إلا أن دخول الأتراك العثمانيين[1] للمنطقة حال دون تنفيد المخطط الإسباني .

المبحث الأول: الظرفية التاريخية للمغرب الأوسط نهاية القرن 15م وأهمية الحوض المتوسطي

أولا– المغرب الاسلامي بعد سقوط الموحديّن:

شهد القرن 13م نهاية عهد الموحدين وعلى إثر ذلك انقسمت منطقة المغرب الإسلامي إلى ثلاث ممالك استطاعت أن تسيطر على المدن وعلى سكان البوادي منها العائلة الحفصيّة، التي تأسست في الجزء الشرقي (وهو قريب من تونس) استمرت في الحكم إلى غاية القرن 16م[2].

أما المغرب الأوسط فقد شهد تفككاً وتجزءً إلى وحدات سياسية صغرى، مما جعلها أكثر عرضة للحملات الإسبانية، ويعود ذلك إلى ضعف أمراء الأقاليم على الحكم، وهذا الوضع لم يكن مجهولا

[1] **الأتراك العثمانيون** : شعب من الأمة التترية وأصولهم من قبيلة تركية تسكن منطقة تركستان، أما عثمانية فتعود التسمية إلى عثمان ابن أرطغرل، مؤسس الدولة العثمانية، التي سميت باسمه بعد أن خلف والده على الحكم سنة680م، **ينظر**: محمد السعيد بوبكر: **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري1119هـ/ الثامن عشر ميلادي1708م** ، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2015م، ص 31.

[2]– جون ب. وولف: **الجزائر وأوروبا 1500– 1830م**، تر و تع: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة، ط خ، الجزائر، 2009م، ص23.

للإسبان الذين أرسلوا جواسيسهم على شكل تجار مسلمين، لكتابة تقارير حول المدن الساحلية، والتعرف على أوضاع المغرب الإسلامي، وإرسالها إلى الملك فيرديناند[1].[2]

كان للهجمة الإسبانية على السواحل المغاربية تداعيات سياسية على المنطقة، فقد أفرزت هذه التحرشات وقوع عدة أحداث مما دفع بالسلطة في الجزائر أن تتفاعل معها، إلا أن الفرقة التي كانت سائدة بين القوى السياسية في المنطقة، حالت دون التحالف بين الجزائر والمغرب رغم الجهود التي بذلت بين الطرفين، أما من الجهة الشرقية لحدود الجزائر فإن هذه الأخيرة سعت وبذلت كل جهودها لمناصرة التونسيين ضد الخطر الإسباني الواقع عليها والّذي استمر من سنة 1535م إلى 1574م.[3]

أما في الجزء الغربي من المغرب الإسلامي، فظهر فيه اتحاد قبائل تحت ملوك رعاة يسمّون بنو مرين الذين أسسوا الدولة المرينية[4]، وهم من قضوا على حكم الموحدين في منتصف القرن 13م(1289م)، وقد ساهموا في بناء حضارة وصلت قمّتها في نهاية القرن 14م، وبين هاتين المملكتين البربريتين أنشأت قبيلة أخرى بقيادة بني عبد الواد الذي هو أيضا ملك من الرعاة، الأسرة الزيّانية[5] في

---

[1]– **فيرديناند الثاني الكاثوليكي) (Ferdinand) (1452–1516م)**: بن فيرديناند الأول ملك الأرغون سنة 1452م، خلف والده في الحكم، فكان ملكا على الأرغون وصقلية (1516–1479م)، ثم نابولي (1516–1504م)، تميز حكمه بالشدّة و القسوة، كما تأسست في عهده محاكم التفتيش سنة 1480م لمطاردة المسلمين واليهود وتنصيرهم، تزوج من ملكة قشتالة إيزابيلا، وبهذا الزواج اتحدت أرغون وقشتالة، **ينظر**:

Dictionnaire: Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991, p499.

نقلا عن رحيمة بيشي : **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية) 898–982هـ/1494–1574م)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصّص التاريخ الحديث،(غ.م)، المركز الجامعي بغرداية ، 2012.، ص 18 .

[2]–محمد لومي وبلال مزاري :**الأوضاع السياسية والعسكرية للجزائر في فترة البيلربايات (1519/1587)**، (مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ حديث ومعاصر)، جامعة جيلالي بونعامة – خميس مليانة ، 2017م، ص12 .

[3]– عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني السواحل الجزائرية وأثره (1206–910هـ/1505–1792م)**، دار هومة للنشر، ط2، الجزائر، 2012م، ص155.

[4] – **الدولة المرينية:** نسبة إلى بني مرين يعود أصلهم إلى قبيلة زناتة، كانوا يسكنون المنطقة الجنوبية من تلمسان، وينتشروا في صحراء فقيق والأغواط، ومن فروعهم بنو عبد الحق وبنو وطاس، وقد وقف بنو مرين إلى جانب الموحدين وحكموا باسمهم، ثم لما ضعفوا انتقضوا عليها، وبعد انتهاء عهد الموحدين برزت إمارة بنو مرين وتلقب الأمير يوسف بأمير المؤمنين. **ينظر:** يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة والحديثة**، ج 1– 2، دار البصائر للنشر، ط خ، الجزائر،2009م، ص180.

[5] **الأسرة الزيانية** :(1236هـ–1554م) عاصمتها تلمسان مؤسسها هو بن زيان بغموراسن، لقد شهدت هذه الدولة في أواخرها ضعفا ولم تعرف الاستقرار، ذلك بسبب موقعها الذي فرض عليها أن تكون محصورة بين الحفصيين والزيّانيين مما ساعد على =دخول

تلمسان، التي اتخذت عاصمة المملكة الزيّانية كمركز تبادل تجاري هام في المنطقة بين إفريقيا ودول البحر الأبيض المتوسط، وامتدت شرقا إلى قسنطينة وحدود المملكة الحفصية، غير أن هذا الموضع الخطر جعلها عرضة للأطماع الحفصيّة في الشرق، والخطر المريني في الغرب فالمرينيون هاجموا واحتلوا تلمسان بينما احتلّ الحفصيون قسنطينة، ونتيجة لذلك لم تظهر دولة قوية في المغرب الأوسط، سوى بعض الممالك وبعض القبائل اتخذت من المدن موطنا لها تحت زعامات دينية وشهدت عدة حروب طاحنة فيما بينها [1].

وكان الزيّانيون قد أعلنوا استقلالهم عن الدولة الموحّدية عندما شعروا ببداية انهيارها ، متخذين من ثغور وسط الجزائر وغربها، مجالا جغرافيا لدولتهم، ومنذ تأسيسهم لها فإنهم عملوا على الرفع من شأنها، كذلك بإنشاء قوة عسكرية جهادية، كبناء الحصون لحمايتها من الاعتداءات الخارجية، التي قد تتعرض لها، وما إن استقر وضعها الداخلي، حتى سعت الدولة الزيّانية في منافسة الملوك الحفصيين على النفود والسّيطرة على منطقة المغرب الإسلامي، مما أدى إلى حدوث صراع مستمر بينهما.

أدّى هذا التنافس بين كل من الإمارتين الحفصية والمرينية، لوراثة الدولة الموحّدية، إلى دخول المغرب في صراع سياسي وعسكري، وهذا ما جعل المغرب الإسلامي يدخل في حالة فوضى عارمة كصراع مستمر، أما عن علاقة الدولة المرينية بالدولة الزيّانية، فكان طابع العداء يغلب عليها تخللتها فترات قصيرة جدا من السلم، وفي غالب الأحيان كان سلم مفروض على بني عبد الواد.

وما يميّز منطقة المغرب الأوسط (الجزائر)في هذه الفترة، هو افتقارها لسلطة موحدة إضافة إلى معاناتها من الفوضى السياسيّة مشكّلة من مدن وقرى وبعض القبائل البربرية العربية، مثل (إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل، الإمارة الحفصية[2] بقسنطينة، وإمارة الذواودة والزّاب، وإمارة بني جلاب بتقرت

الإسبان في السواحل التابعة لها، **ينظر:** يحي بن خلدون أبو زكريا: **بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تق وتح وتع: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1986م، ج1، ص204. **وينظر أيضا:** محمد دراج : **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1534–1512)** تص: ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة للنشر،ط2، 2013م، ص 87.

[1] – جون ب. و ولف : المرجع السابق ، ص 23.

[2] **–الإمارة الحفصية: (1273–1229م)**، نسبة إلى الحفصيين، ينتمون إلى قبيلة هنتاتة إحدى فروع مصموده، ومؤسس الإمارة الحفصية هو أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي، ظهرت هذه الإمارة في الوقت الذي أخد نجم الموحدين في الأفول، فاستقلت بتونس، **ينظر:** يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 176.

ووادي ريغ، وإمارة بني زناسن بالحدود المغربية، وإمارة الثّعالبة بجزائر مزغنة)[1]، تميزت بالانحطاط والتردي في جميع الميادين، سياسية واقتصادية واجتماعية، ووصفت أغلب المصادر التاريخية، التي تعرضت لتاريخ المنطقة أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م[2]، حيث أن هذه المنطقة ستصبح الإيالة التي تحكمها جماعة البحارة العثمانيين وتتخذ من مدينة الجزائر عاصمة لها فيما بعد[3].

ما يلاحظ على الوضع العام لبلاد المغرب الاسلامي من الناحية السياسية ،والعسكرية،و الاقتصادية أنه سادها التفكك والانحطاط الّذي أضعف سلطة الممالك فالعائلة الحفصية الحاكمة في تونس، وبنو مرين في المغرب رغم الحكم، لكنهم لم يستطيعوا إخضاع القبائل التي كانت تتمتع بنسبة استقلال في إقطاعاتها، فعندما فوجئت الجزائر بالاحتلال الإسباني كانت مجزأة إلى 25جزء، كل جزء تهيمن عليه قبيلة بربرية أو عربية، فضلا عن ذلك طرأت كارثة الأندلس بسقوط غرناطة[4]، والسيل الجارف من المهاجرين الأندلسيين الذين حذروا السكان وأطلعوهم على جرائم الإسبان، وأهدافهم الرامية إلى إخلاء المغرب من سكانه وتعميره بالمسيحيين[5].

ثانيا–العوامل الداخلية المساعدة على الغزو:

أفرز تفكك منطقة المغرب الاسلامي لإمارات متناثرة ومتناحرة فيما بينها، دون وجود كيان سياسي موحد انعكاسات خطيرة على جميع المجالات منها:

1– غياب سلطة موحّدة:

يعبر عن هذه المظاهر حالة التفكك الداخلي والتطاحن فيما بينها، مما جعلها دولا منهكة وغير قادرة على صد العدوان خاصة أنها لم تمتلك قوة عسكرية كبيرة، حيث كان أحد العوامل المشجعة على

---

[1] – نفسه : ص7.

[2] –محمد السعيد بوبكر : **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري1119هـ/ الثامن عشر ميلادي1708م**، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2015م، ص 36.

[3] –جون ب. و ولف: المرجع السابق، ص 24.

[4] **غرناطة:** تقع جنوب الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية، ويقع فيها قصر الحمراء، وظهرت فيها مملكة إسلامية في القرن11م، وهي المملكة الإسلامية الوحيدة في اسبانيا، بعد سقوط مملكة قرطبة بيد المسيحيين سقطت سنة1492م. **ينظر:** جميل عائشة: **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني1520–1830م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، (إشراف: د. صحراوي عبد القادر)، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017م، ص2.

[5] – عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص35.

الغزو وهذا بعد تفاقم الانقسام السياسي وبلوغه مراحل متطورة نتج عنه تمتع القبائل والأمراء وزعماء الطرق بالاستقلالية، وتشكيل العديد من المدن لشبه دول منها وهران التي كانت منفصلة عن تلمسان، وشرشال، وتنس والجزائر ودلس وبجاية وكان بعضها في شبه إمارات جبلية.

أما مملكة تلمسان فقد شهدت صراعا على السلطة، وذلك عن طريق تحرر كبار الأعيان من الوصاية الذين سعوا الى مكافحة السلطة القائمة، زيادة على ذلك الصراع على العرش من خلال خلع الابناء لآبائهم واغتصابهم للحكم.

وبخصوص المغرب الأوسط الممتد بين مملكتي تونس وتلمسان، كانت مدنه في حالة استقلال، أما الونشريس التي كانت تقطنها القبائل كانت مستقلة عن مملكة تلمسان، ومنطقة القبائل عبارة عن قبائل متنافسة حيث السمة الواضحة في هذه المنطقة هي التمزق السياسي[1].

2- الضعف العسكري والجوسسة:

ساد البلاد تدني المستوى العسكري، حيث ساعد ذلك الإسبان في التفوق على المناطق وخضوعها لهم، وتجدر بنا الاشارة هنا إلى أن الامارات والممالك لم تكن متطورة من ناحية الصناعة والتقنية الحربية، من ناحية بناء القلاع وكيفية حصارها وطرق الامداد بالمؤونة. وضعف التحصينات الداخلية كون المنطقة كانت مراقبة من طرف الاسبان من خلال جواسيسهم، خاصة مبعوث فرديناند فيرناندو دي ثافرا (fernando de zafra) كانوا يرسلون تقارير ويحددون مشاكل البلاد وتحديد نقاط القوة والضعف، وخاصة وضع القبائل التي كانت خارجة عن ملوك فاس وتلمسان وكان ذلك سنة 1494م[2].

3- سوء الأحوال الاجتماعية:

انعكس سوء الأحوال المعيشية بالسلب على المنطقة وكون المجتمع يعيش حالة ريفية بدائية لم تمكنه من الاكتفاء من ناحية الغداء، إضافة الى كثرة حالات التمرد والعصيان نتج عنه حالة عدم الاستقرار إضافة الى شيوع الخرافة في أوساط السكان مما سبب ضعف المقاومة، حيث حفزت القوى الأوروبية على ممارسة العدوان على طول السواحل لمنطقة المغرب الاسلامي من طرابلس الغرب الى غاية مياه المحيط الأطلسي[3].

---

[1] – عبد القادر فكاير: المرجع السابق ص44.

[2] – نفسه: ص ص 45- 46.

[3] – عبد القادر فكاير: المرجع السابق ص46.

نستنتج من كل هذا أن منطقة المغرب الإسلامي أصبحت في كل من (طرابلس، تونس، الجزائر والمغرب)، حلبة صراع بين المسيحية المتمثلة في إسبانيا، والاسلام المتمثّل في الدولة العثمانية، لذلك شهدت هذه المنطقة زخما كبيرا من الأحداث التي تمثل الحملات العسكرية في حالة الحرب والمعاهدات في حالة السلم[1].

ثالثا– أهمـــية الحـــوض المتـــوســـطي:

الحوض المتوسطي أو البحر المتوسط، بحر داخلي يربط ما بين أهم ثلاث قارات في العالم، أوروبا وافريقيا وآسيا ويمثل حوضا يجمع عددا لامتناهي من القوميات واللغات والثقافات المطلة على ضفتيه الجنوبية والشمالية، يتصل الحوض المتوسطي بالمحيط الأطلسي، عبر مضيق جبل طارق في الحوض الغربي منه ويمثل مسطحا مائيا مهما جغرافيا وحضاريا، لا يضاهيه في ذلك أي بحر داخلي.[2]

البحر المتوسط غني عن التعريف به وبأهميته منذ القدم كما قال بن خلدون:".... الساكنون بسيف هذا البحر وسواحله وعدويته[3] يعانون من احواله، مالا تعانيه أمة من أمم البحار..."[4]

لما نتحدث عن أهمية الحوض المتوسطي التي يكتسيها في الصراعات الجغراستراتيجية، قديما وحديثا، نبرز أن البحر المتوسط يشكل تاريخ شعوب وحضارات قامت على ضفتيه وأسس أهم حضارات التاريخ الإنساني، وأصبح يشكل البحر المتوسط، أحد أهم حلقات التاريخ القديم والحديث، وارتبط تاريخه بتاريخ بقية البحار، وفي هذه الأهمية يقول بروديل في كتابه البحر المتوسط والعالم المتوسطي: ".... لا يمكن معرفة تاريخ العالم والبحار الداخلية، دون معرفة تاريخ البحر المتوسط..."[5]

---

[1]– محمد السعيد بوبكر: المرجع السابق، ص 33.

[2]– محمد الأمين عطلي: **نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17م وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، المركز الجامعي غرداية،2012، ص ص 19، 20. وينظر أيضا: محمد إبراهيم حسن: **دراسات في جغرافية أوروبا والحوض البحر المتوسط**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1999، ص 30.

– عدوته الجنوبية: كما فسرها بن خلدون نفسه بلاد البربر كلهم من سبتة إلى الإسكندرية إلى الشام.[3]

– ابن خلدون: **المقدمة**، ج1، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص 311.[4]

[5] - Braudel Fernand: **La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'époque de Philippe Ⅱ**, Ed, tom2, paris, 1976, pp 23-60.

شكل البحر المتوسط منطقة صراع ديني ،كذلك بين الإسلام والنصرانية وكان هذا العامل محرك أساسي لهذا الصراع، فقد اظهرت الكنيسة تأثيرها المعنوي والمادي وتوجيه موازين القوى إلى جانب المنافسات التجارية[1]، كما عرف البحر المتوسط صراعا كبيرا بين أمم الضفتين الجنوبية والشمالية وكذا بين حوضه الشرقي والغربي، خاصة بعد ازدياد نشاط البحرية العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط[2]، واصطدامها بإسبانيا أكبر قوة بحرية آنذاك، حيث كان سببا في أغلب المواجهات التي قامت بين الدول المجاورة للحوض الغربي للمتوسط، خاصة بعد قدوم الإخوة بربروس إلى الحوض المتوسطي الغربي وخوضهم لحرب ضد الصليبيين[3].

شكلت بداية القرن 16م مرحلة مهمة في تاريخ منطقة البحر الأبيض المتوسط، وهذا بظهور صراع ذو طابع ديني إقليمي بين المسيحية والإسلام، فالجانب المسيحي تزعمته دول شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا، البرتغال) والجانب الإسلامي مثلته الدولة العثمانية، وهذا نيابة عن المماليك الإسلامية في بلاد المغارب ولأن هذه المنطقة تشكل جزءا هاما من العالم المتوسطي كان من الطبيعي الانخراط في هذا الصراع خاصة وانها تملك قاسم طبيعي مشترك مع دول اسبانيا والبرتغال وهي الواجهة البحرية المتوسطية مما يعني دخولها في قلب الصراع[4].

المبحث الثاني: الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية

إن التفكك الذي ساد منطقة المغرب الاسلامي وبسبب افتقاره إلى سلطة قوية تفرض نفوذها وهيبتها، بعد ما صار التطاحن والفرقة والفوضى سمة وصورة يتصف بها هذا المجال الجغرافي الواسع وبالرغم من وحدة العرف واللغة والدين، أصبحت سواحل المغرب الاسلامي تحت تحرشات الايبيريين خاصة الإسبان منهم. وقد كان هدف إسبانيا بعد سقوط آخر معقل للمسلمين في الأندلس عام 1492م، يقوم على غزو سواحل شمال افريقيا، والقضاء على كل نفوذ اسلامي من شبه الجزيرة

[1] – محمد الأمين عطلي : مرجع سابق ، ص 22.

[2]-Braudel : OP .cit, p 24-60.

[3] –بل فريدريك وليام: **الصراع البحري والقرصنة العالمية**، تر: السيد فؤاد، ج1، ط1، مطبوعات الجامعة، القاهرة،1977، ص ص 65-90.

[4]–سمير مشوشة: **الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين 11–12هـ/ 17–18م** ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2019م ص19.

الأيبيرية وكان الدافع وراء هذا التحرك هو الروح النابعة من الحقد الصليبي ضد كل ما هو اسلامي، ليس في إسبانيا فقط وإنما في كل الحوض الغربي للمتوسط عموماً.

وقد وصفها لنا " الزهَّار" في مذكراته بقوله: " **لما تغلب الاصبانيول في السابق على الأندلس، وتمكنوا من جميع بلادهم كما هو مسطور في كتب المؤرخين، كانت لهذا الجنس عداوة مع جميع المسلمين. وله قوة ومراكب فانتقل إلى بر المغرب وأخذ وهران من يد بَقِية بني زيان ملوك تلمسان، وكان قبل ذلك أخذ بجاية ثم أخرجه منها ملوك بجاية، وبقيت وهران بيده إلى أن أخرجه منها الباي محمد سنة 1205هـ في أيام حسن باشا** " [1].

بعد زواج فيرديناند وإيزابيلا[2] اتحدت مملكتين من الممالك الثلاثة(قشتالة واراغون أما البرتغال بقيت مملكة لوحدها) فظهرت إسبانيا الموحّدة، وبالرغم من ضم المملكتين إلا أن طبيعة التكوين السياسي والعسكري والنظرة العدوانية ساهم في رسم السياسة الخارجية الاستعمارية، حيث أرسلت إيزابيلا الجاسوس **فيرناندو دي ثافرا** (Fernando de zafra)، الذي كان مكلفا منذ سنة 1492م، بمراقبة حركة الأندلسيين المطرودين إلى إفريقيا[3] ليتعرف على ما يجري في الضفة الأخرى، فكان تقريره **كالتالي**: (أن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة [4]) .

وبتغيير سياسة الملوك الكاثوليك الذين كانوا نسبيا متسامحين نوعا ما مع المسلمين (الموريسكيين) بعد سقوط غرناطة خاصة من ناحية ممارسة الشعائر الدينية بالنّسبة للمسلمين، حيث منذ فاتح القرن 16م تغيرت سياسة التسامح وكان نتيجة الاضطهاد تهجير وإرسال الآلاف منهم الى سواحل المغرب الاسلامي، إضافة إلى ذلك تم الشروع في تنفيذ وصيّة إيزابيلا بعد وفاتها سنة 1504م، التي نصت على

---

[1] –أحمد شريف الزهار: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار " نقيب اشراف الجزائر"** تقديم وتعليق، أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974، ص 26.

[2]– **إليزابيلا**: هي ملكة قشتالة، ورثت العرش بعد أخيها هنري الرابع، حكمت مابين1474م، إلى 1504م، ولم يكن لزوجها سلطة على مملكتها، كانت ميولاتها مسيحية، لذلك سعت للحصول مع زوجها الملك فيرديناند الثاني على لقب ملوك الكاثوليك من البابا الاسكندر السادس، بعد التمكن من طرد المسلمين من غرناطة، **ينظر**: Dictionnaire, Op.cit, p677 نقلا عن رحيمة بيشي : **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية) 898–982هـ/1494–1574م)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصّص التاريخ الحديث،(غ.م)، المركز الجامعي بغرداية ، 2012.، ص 18.

[3] – القادر فكاير: المرجع السابق، ص 45.

[4] – جون ب. و ولف : المرجع السابق ، ص 24.

احتلال منطقة شمال افريقيا، وهو ما تم فعلا حيث هاجمت عدّة مناطق في سواحل المغرب الاسلامي تمتد من مضيق جبل طارق إلى طرابلس (المنطقة الممتدة من تونس إلى المغرب الاقصى).[1]

وباشرت باحتلال سواحل المغرب الأوسط معتبرة هذا التدخل امتدادا للحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين التي بدأت في الأندلس، وهي تلك الحروب التي أطلق عليها الإسبان حروب الاسترداد، وقد كان لهذه الحرب الشرسة دوافع حرّكتها .

أولا: دوافع الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية

1- الدوافع الدينية :

لا يمكن إنكار هذا الدافع لأن الدولة الإسبانية ذاتها قامت على أسس دينية، ونمت وترعرعت بين جدران الكنيسة، فالقساوسة والرهبان كان لهم الكلمة الأولى في التوجيه السياسي.[2]

وإن حماسة الاسبان خاصة بعد تمكنهم من القضاء على المسلمين في غرناطة، بل سعت إلى ملاحقتهم والانتقام منهم، وهذا جعلهم يتوجهون إلى مهاجمة المسلمين في المغرب الإسلامي، وهو ما يفرض ضرورة السيطرة على سواحل شمال افريقيا، والذي يبين أكثر دور العامل الديني واستغلاله في الروح الصليبية ، لذلك تبين الروح الصليبية من خلال الحملة التي قام بها الإسبان من أجل توحيد المسيحيين، كما أن وصية الملكة إيزابيلا كانت واضحة المعالم لولي عهدها، في ضرورة التعاون مع الكنيسة، كما أن ما فعله القادة الإسبان، الذين سيطروا على المدن الساحلية من إظهار للشعائر الدينية المسيحية، حيت حولت المساجد إلى كنائس[3].

يقول فرناند بروديل في هذا الصدد :" **إن التعصب الديني، والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين، وإرادة أبعاد حدود الاسلام، كل ذلك مجتمعا قدا حدا بالإسبانيين. أواخر القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر. إلى التدخل بالغزو في الشمال الإفريقي**[4]." ويقول أيضا : "**إن**

---

[1]- جون ب. و ولف : المرجع السابق ، ص 22.

[2] -محمد دراج : المرجع السابق، ص 123.

[3] -محمد السعيد بوبكر : **المرجع السابق**، ص 49.

[4]- F. Braudel**: lesespagnol en Algérie,in Histoire et historien de l'Algérie,Félix** Falcan, Paris,1930, p 231.

الحروب الإسبانية في إفريقيا أخذت صبغة الصليبية الحقيقية، وذلك نظرا للدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت، فالكنيسة بإسبانيا قد ساهمت بكل ما لديها من حماس في هذه المعركة"[1].

صمّم فيرديناند الكاثوليكي على تنفيذ وصية زوجته إيزابيلا، في احتلال شمال إفريقيا، ونظرا لفراغ خزينة الدولة من المال، تولت الكنيسة هذه المهمة، وعلى رأسها الكاردينال اكزمينيس[2].[3]

وحسب أحد الكتاب الغربيين أن الكاردينال اكزمينيس قد قدم من ماله الخاص في هذه الحملة الصليبية، التي قام بها في افريقيا من تجهيز العمارة الحربية، واستنجد كرم الكنائس في اسبانيا[4]، لذا فإن" الكاردينال اكزمينيس يستحق بأنه كان مشهورا بفكرة العمل وفق منهج اقتلاع إفريقيا الشمالية من البربرية الإسلامية، من أجل نصرة المسيحية والحضارة[5] .

---

[1]- F. Braudel: **La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à L'époque de philipe** 2, 5 éme édition, A.Colin, Tome2,1982, p 532.

[2]- **أخسيمنس دي سيسنيروس** : (**Ximenes De Cisneros**) ولد في قشتالة سنة1436 م ، وتوفي في طليطلة سنة1517م ، في سنة 1492م أصبح مستشارا سياسيا للملكة إيزابيلا، وفي سنة 1505 م عيَّنه فرديناند مشرفا عاما على محاكم التفتيش، واشتهر بتعصّبه وتطرّفه الديني، فقد لعب دكرا بارزا في تنصير مسلمي الأندلس، كما أحرق في غرناطة وحدها 5000كتاب، وتزعم عملية احتلال سواحل المغرب الإسلامي .للتعرف أكثر على هذه الشخصية أنظر:

(CH.J) Hefele: **le Cardinale Ximenes et L'èglise d'Espagne**, trad par M.L'abbè A.sisson et M.L'abbè A.crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire, Paris1860.

نقلا عن رحيمة بيشي : **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية) 898-982هـ/1494-1574م)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصّص التاريخ الحديث،(غ.م)، المركز الجامعي بغرداية ، 2012.، ص 26.

[3] -أسماء إبلالي: **التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن10هـ-16م قراءة في الدوافع والنتائج**، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع2، 2017م، ص 42.

[4] -أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492و1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1984، ص 73.

[5] -عبد الفادر فكاير: المرجع السابق، ص28..

ولاشك أن فرناند بروديل وغيره بالغوا في اعتبار العوامل الدينية ذات أهمية كبرى في بدء الحروب الصليبية، بغض النظر عن أنها كانت تمثل روح ذلك العصر، لكن فإن هذا الواقع يوضح أن المصالح المادية سرعان ما لعبت الدور الأكبر لاعتبارات سياسية داخلية وخارجية[1].

2- الدوافع الاقتصادية:

إن انهيار النظامين الاجتماعي والاقتصادي الإسلاميين في بلاد إسبانيا، ثم تشتيت شمل المسلمين وإبعادهم عن البلاد، وضع إسبانيا أمام مشكل اقتصادي رهيب، وأصبحت التجارة الخارجية بين التصدير والاستيراد منعدمة، أمام هذا الحال، لم يبقى للإسبان من سبيل لكسب المعيشة سوى ذلك النوع من اللصوصية المسلحة التي تدعى الاستعمار، فاندفعوا في غزوات لانهاية لها[2].

أرادت إسبانيا إعادة أمجاد ممتلكات الإمبراطورية القديمة، خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد، لذلك عملت على احتلال سواحل المغرب لما له أهمية في ايصال بحري آمن بين السواحل الإيطالية والاسبانية،[3] إذ أن حركيّة التبادلات التجارية التي كانت بين ملوك إسبانيا والدويلات الإيطالية في المتوسط خاصّة صقلية، يستلزم حماية الطريق التجاري بينهما من القراصنة بحكم قربها للسواحل المغاربية إضافة إلى نشاط بحارة المغرب الإسلامي[4] ، ولا يكون ذلك إلا بالسيطرة على موانئ المدن المهمة في شمال إفريقيا مثل تلمسان ووهران التي كانت مركز عبور تجاري يربط الساحل بإفريقيا، خاصة أن الاسبان اكتفوا بالساحل ولم يتوغلوا في الداخل إلا للتمويل بالمواد الغذائية[5]، وما شجع كذلك الإسبان على احتلال السواحل والموانئ ثراء المنطقة بالمواد الأولية التي اعتمدت عليها الصناعات الجديدة فيها لسد حاجة مصانعها كافة من المواد الخام، فاندفعت إسبانيا تبحث عن هذه المواد فوجدت في بلدان المغرب الإسلامي غايتها.[6]

---

[1] -جوليان شارل اندري : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تع: مربي، البشير بن سلامة، ،ط2 ،الدار التونسية للنشر، 1985م، ج2، ص322.

[2] -أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص 78،79.

[3] -جوليان شارل اندري :المرجع السابق، ص322.

[4] - فكاير عبد القادر: المرجع السابق، ص32.

[5] -محمد السعيد بوبكر: المرجع السابق، ص 50.

[6] -زبارة سامية : **الجهاد البحري في الجزائر العثمانية (1520_1827)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث، جامعة ابن خلدون ،تيارت،2014م، ص10.

وبعد سيطرتها على مناطق الذهب في القارة الامريكية المكتشفة حديثا، شرعت تبحث لنفسها عن أسواق جديدة لترويج منتجاتها، وموارد مالية لتمويل حروبها في اوروبا، كما أن اكتشاف القارة الأمريكية جعل اسبانيا في حاجة إلى موانئ ساحلية لحماية أساطيلها المثقلة بالبضائع من غارات البحارة، الذين جعلوا من موانئ الشمال الافريقي قواعد انطلاق[1].

3- الدافع السياسي والعسكري:

لقد كانت لإسبانيا طموحات توسعية، وتشكيل إمبراطورية تهيمن على أوروبا، وكذلك على العالم الجديد، ومن أجل تحقيق هذا المسعى وجهت إسبانيا أنظارها إلى الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط، لكي تستكمل دائرة توسعها[2]. فهذا المد الاستعماري الجشع كان من جملة الأسباب التي ألقت بهم في سواحلنا، وساعدهم في ذلك حالة التفكك والانحلال التي أصبحت عليها بلاد المغرب الاسلامي التي علموا بها عن طريق جواسيسهم المرسلة[3].

ومن ناحية أخرى كان لأثر نجدة المرابطين و الموحدين لإخوانهم في الأندلس ولجوء الأخيرين إلى بلاد المغرب الإسلامي بعد سقوط غرناطة مستنجدين بإخوانهم هنا، لذا رأوا ضرورة تتبع المسلمين إلى مكان فرارهم (شمال إفريقيا)، مدعين بأن الأساطيل الإسلامية كانت تغزو السواحل الأوروبية وتنهبها، وهذا خوفا من أن يعيد المسلمون الكرّة عليهم ويسترجعوا الأندلس، وهو تكتيك حربي لإفشال خطة العدو[4].

كما كان لإقامة قواعد عسكرية في شواطئ الجزائر، سببا مباشرا لتحريك مشروع الغزو، فهذا العمل قد يحول دون الاتصال بين الجزائريين ومسلمي الأندلس، حتى لا يتحصل هؤلاء على أية مساعدة من إخوانهم مسلمي الجزائر، وسعت إسبانيا إلى تأمين خطوط

[1] -محمد دراج : المرجع السابق، ص ص،131،132.

[2] -عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص 34.

[3] -أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص77،78.

[4]- أسماء إبلالي: المرجع السابق، ص 39 .

مواصلاتهم الهامة بين إسبانيا وإيطاليا، و اتخذوا من القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية[1].

كما أن احتلال السواحل الإسلامية في شمال إفريقيا من شأنه أن يساهم في ترسيخ زعامة إسبانيا السياسية للعالم المسيحي، التي ما فتئت إسبانيا تفتقر إليها منذ أن بدأت الوحدة الدينية تتعرض للاهتزاز بسبب ظهور حركة الإصلاح[2].

إضافة إلى ذلك تدني مستواهم العسكري، بالمقارنة مع الإسبان، فعلى ما يبدو أن المغاربة لم يعرفوا التطور التقني وفن القتال، وقد استمر هذا الوضع طوال القرن السادس عشر16م، حيت ظلت الطرق التقليدية هي السائدة، والمتمثلة في التلاحم رجل لرجل، واستعمال الخنجر والسيف والأسهم، كما أنهم لم يعرفوا بناء القلاع وكيفية محاصرتها[3].

وهذه العوامل شجعت الملك الإسباني فيرديناند، إلى توجيه حملات عسكرية منظمة بدافع السيطرة والانتقام، فقد تمكن الاسبان خلال الفترة(1505-1535)، من احتلال مواقع ومدن عديدة بالساحل الجزائري.

ثانيا– نتائج الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية:

بعد سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس واكتشاف الغزاة الأوروبيين للعالم الجديد، تطلع الكاردينال خمينيس إلى التوسع في الخارج وذلك باحتلال سواحل المغرب الإسلامي مما سيجعل الإسبان قوة بحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[4].

---

[1]–عبد الحميد ابن ابي زيان بن اشنهو: **دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، د ط، الجزائر، 1982م، ص 45.

[2]–محمد دراج: المرجع السابق، ص 134.

[3] –عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص ص 45– 46.

[4]– صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830م**، الجزائر، دار هومة، ط3، 2011، ص26.

1- احتلال المرسى الكبير [1] :

إن سيطرة الإسبان على المرسى الكبير عام 1505م من أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي عرفتها منطقة البحر الأبيض المتوسط[2].

وقد اختارته اسبانيا لأنه قريب من السواحل الاسبانية ويشرف على مدينة وهران ولكونه يحتوي على أحسن المراسي في البحر المتوسط[3]. وهو موقع له أهمية بالغة وقد سماه الرومان "المرسى الرباني"، وذكره حسن الوزان بقوله:" **مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط بعيدة ببضع أميال عن وهران. ومعناها الميناء الكبير، لان هناك ميناء ما أظن في الدنيا أكبر منه، يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية، في مأمن من كل عاصفة وإعصار... وقد استولى الإسبان عنوة على المرسى الكبير قبل سقوط وهران ببضعة أشهر...**"[4] وقد تمكن الإسبان من السيطرة عليه، بحملة كبيرة مجهزة من طرف الكاردينال خيمينيس حيث غادر الأسطول الاسباني مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505م، بجيش قوامه خمسة آلاف رجل، فوصل الأسطول يوم 11 سبتمبر بعد أن اعترضته رياح كانت لصالح الإسبان، فتأخر وصول الأسطول بحيث ظن المجاهدون أن العدو عدل عن الهجوم فتفرقوا، لم تكن الحامية الصغيرة المتبقية تستطيع صد الجند عن النزول إلى البر رغم المقاومة العنيفة القاسية التي قام بها رجال تلك الحامية، فاستمرت هذه المعركة الغير المتكافئة ثلاثة أيام متواصلة فاحتل الإسبان القلعة وتحصنوا فيها[5]، وتم اتخاذها موقعا تنطلق منه قواتهم لتوسيع نطاق الاحتلال في المناطق المجاورة وخاصة مدينة وهران التي كانت هدفهم الموالي.

---

[1]-المرسى الكبير: مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان، ومعناه الميناء الكبير، ميناء يقع غرب مدينة وهران ببضعة أميال، تعرض لاحتلال البرتغاليينسنة1415م،وطرد وأعادوا احتلاله في1471م، وخرجوا منه سنة1477م، ينظر:الحسن بن محمدالوزان الفاسي: **وصف افريقيا**،ج2،تر: محمدحجي،محمدالأخضر،دارالغربالإسلامي،ط1،بيروت، 1983م، ص 31. وينظر أيضا،محمد السعيد بوبكر: المرجع السابق،ص33.

[2]-صالح عباد: المرجع السابق، ص18.

[3]-عبد القادر فكاير: المرجع السابق ، ص52.

[4]- الحسن الوزان :المصدر السابق ، ص36.

[5] - عائشة غطاس وآخرون: **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007، ص ص 15-16.

احتلال وهران 1509م: بعد ان احتلت اسبانيا المرسى الكبير تطلعوا لضم وهران سنة 1509م، تنفيذا لوصية ايزابيلا ملكة قشتالة التي توفيت سنة 1504[1].

فقد جهزت حملة كبيرة لاحتلال مدينة وهران من طرف الكاردينال خمينيس، وانطلقت هذه الحملة من ميناء قرطاجنة الاسباني في 19 ماي 1509م، بقوة خمسة عشر ألف مقاتل، وما لبثت القوات الاسبانية أن احتلت المدينة دون أي مقاومة، وذلك بتعاون بعض اليهود والخونة من أهل المدينة، وسيطروا عليها ما يقارب ثلاث قرون[2].

احتلال بجاية 1510: وبعد احتلال المرسى الكبير ووهران، بدأت الأطماع التوسعية الاسبانية تزداد صوب الساحل الشرقي، فوجه الملك الاسباني أوامره لقائد الأسطول" بيدرو نافارو[3]" لاحتلال بجاية، وتم الإعداد والتجهيز لحملة عسكرية من 14 سفينة على متنها أكثر من 8000 آلاف جندي[4].

توجه الأسطول بقيادة بيدرو نفارو إلى بجاية التي وصلها يوم 5 جانفي سنة 1510م ولقد احتلها الإسبان دون أية مقاومة[5]، ولكن أحمد توفيق المدني يذكر في كتابه الموسوم بـ " حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا" أن الإسبان لقوا مقاومة عنيفة من سكان المدينة الذين تسلقوا مرتفعات جبال قوريا لكي تمنع الإسبان من النزول إلى البر[6] ، وأخذت المدفعيات البجائية والاسبانية تتبدلان رمي القذائف لكن الإسبان تمكنوا رغم ذلك من الوصول إلى أعلى مدينة وتمكنوا من احتلالها[7].

---

[1]-أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص99.

[2]- جون. ب. وولف : المرجع السابق، ص129.

[3] - **بيدرو نافارو:** ولد بمدينة بسكاي، جلبه فيرديناند ورقاه إلى رتبة النبلاء واستعمله لاحتلال الشواطئ الغربية، انتقل إلى خدمة الملك الفرنسي فرنسوا الأول منذ سنة1515م، قائد عسكري إسباني قاد الحملة مع الكاردينال خمينيس، على المرسى الكبير سنة1505م، وعلى وهران1509م، **ينظر:** مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشروالتوبع،ج1، الجزائر 2013م، ص ص، 126،128. **و ينظر أيضا:** جميل عائشة: **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني1520–1830م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، (إشراف: د. صحراوي عبد القادر)، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017م، ص 8.

[4]- فكاير: **الغزو الاسباني**، مرجع سابق، ص55.

[5]- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج 2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2009م، ص ص 9،11.

[6]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص100.

[7]- المرجع نفسه، ص 109.

خضوع وولاء مدينة الجزائر للإسبان 1511م: لم يقتصر النفوذ الاسباني على المدن التي سيطروا عليها بالقوة فحسب بل امتد ليشمل كل المدن الساحلية تقريبا فقد دان لهم حاكم تنس الذي كان يوفر لهم المؤونة فلما علم سكان مدينة الجزائر بسقوط بجاية في يد الإسبان سارعوا إلى إرسال وفد عنهم إلى بجاية ليعلنوا استسلام مدينتهم، كما قام بذلك شيوخ متيجة وفي يوم 31 جانفي وقع مندوبون على مدينة الجزائر معاهدة استسلام يعترفون بالسيادة الاسبانية[1]. ويحدثنا الوزان في مؤلفه عن ولاء أهل الجزائر للإسبان بقوله: "... فانحاز أهل الجزائر إلى ملك بجاية لما أوجسوا منه خيفة ... فبايعوه وأدوا له الخراج..."[2]، وقبلوا دفع الضريبة السنوية، كما تخلوا عن إحدى الجزر التي كانت تحمي المدينة للإسبان، وبنو بها هؤلاء قلعة أطلق عليها اسم البينيون[3].

قام الإسبان بتوسع في المناطق الأخرى منها مستغانم التي وقعت معادة استسلام في 26ماي من نفس السنة التزموا من خلالها بدفع الضرائب للإسبان[4]. كما احتل الإسبان المناطق الاستراتيجية الهامة في البلاد لما تمثله من أهمية كبيرة لها وكان ذلك إما عن طريق الحملات العسكرية أو عن طريق معاهدات التي كانت يعقدها أعيان وزعماء المدن تخوفا من الإسبان أو تجنبا للقتال[5].

وبذلك عمل فيرديناند الكاثوليكي في استراتيجيته لاحتلال سواحل المغرب الاوسط على إقامة مراكز محصنة في أهم الموانئ مع نصب مدافع لمراقبة كل التحركات لوضع حد لنشاط الأساطيل المغربية التي كانت تغير على السواحل، ونظرا لعدم قيام آل زيان بهجوم مضاد احتل الجنويون ميناء جيجل سنة1513م، وبهذا وجد سكان الشواطئ الجزائرية أنفسهم بين مطرقة الإسبان وسندان الجنويين[6].

وبهذا تقوى دور الإسبان في أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، في السطو والاعتداء على سواحل المغرب الأوسط وتونس والمغرب[7]، وفي نفس الوقت الذي شرع فيه الإسبان في

---

[1] -صالح عباد، المرجع السابق، ص ص34،35.

[2] - الوزان، مصدر سابق، ج2،ص38.

[3] -حصن البنيون: يعني حصن الصخرة، ونصبوا به مدفعا على بعد ثلاث مئة متر تقريبا ليكون شوكة في عنق الجزائريين. للمزيد ينظر، أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص126.

[4] -المرجع نفسه ص128.

[5] - نفسه، نفس الصفحة.

[6] - أسماء ابلالي: المرجع السابق، ص ص 46. 47.

[7] -جميل عائشة: المرجع السابق، ص 12.

إنشاء المراكز على سواحل شمال إفريقيا، ظهرت جماعة من المغامرين في منطقة غرب البحر المتوسط، فقادوا معارك طاحنة، ضد الإسبان وانتصروا عليهم[1]، مما أدى إلى تغيير في الأوضاع وأعاد النظر في موازين القوى التي كانت لحد تلك اللحظة لصالح الإسبان، فشهد المغرب الإسلامي ظهور تطورات تمخضت عن ميلاد الدولة الجزائرية[2].

ومما سبق يتضح أن انعدام قوة سياسية وعسكرية قادرة على وقف توسعات وتحرشات الأيبيريين، وضعف القوى المحلية كانت من العوامل التي دفعت السكان عموماً والأعيان والعلماء خصوصاً إلى البحث عن قوة قادرة على رد حملات الاسبان والبرتغاليين في وقت كانت فيه انتصارات العثمانيين على القوى المسيحية ترد إلى سكان المنطقة، والتي تركت بدورها انطباعاً حسناً لديهم، فقام السكان المحليون بالتفكير في دعوة العثمانيين للنجدة والمساندة، مادام الرابط الديني موجوداً والرغبة في التصدي لقوة الصليبيين.

المبحث الثالث: بروز الإخوة بربروس كقوة بحرية وانضمام الجزائر للدولة العثمانية

أولا– بروز الإخوة بربروس كقوة بحرية:

بعد أن أصبح المغرب الأوسط ممزقا وضعيفا نتيجة الحروب الطويلة الأمد، لم يكن في مقدوره القيام في وجه الصليبية، لذلك تم الاستنجاد بالعثمانيين، بعد أن لفت عروج[3] أنظار سكان السواحل الجزائرية بقوة أسطوله، حيث استنجد به حاكم بجاية وأعيانه عام 1512م.

أما بالنسبة لمدينة الجزائر كان الأهالي يعيشون تحت المراقبة الإسبانية حتى 1510م ، وبموت الملك الإسباني فيرديناند نقض الأهالي المعاهدة التي تّم توقيعها مع الإسبان ونتيجة لهذه الظروف، طلب الشيخ

---

[1] – جون ب وولف: المرجع الساق، ص 27.

[2] – جميل عائشة: المرجع السابق، ص 12.

[3] – **عروج**: أو أوروج أصلها عربية وهي لفظ معناه الارتفاع والصعود، وهو مأخوذ من حادثة الأسراء والمعراج، الني يرجح أنه ولد ليلتها، فالترك ينطقونه أوروج والعرب ينطقونها عروج. **ينظر**: أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 145.

سالم التومي، مساعدة الأخوين عروج وخير الدين[1] في التخلص من الإسبان، قبل الإخوة بربروس[2] بهذا الطلب ورأى عروج فيه فرصة للاستيلاء على مدينة الجزائر الهامة والغنية والتي ستكون مناسبة لعملية القرصنة .

وعمل الإخوة على التوسع داخل البلاد، فالسلطان الزيّاني أبو محمد الزيّاني الذي كان قد أعلن تبعيته للإسبان خصوصا بعد احتلالهم تونس 1535م، جعلته هزيمة شارلكان يعيد النظر في سياسته ويعلن تبعيته للعثمانيين، وتوالت انتصارات الأخوين في شمال افريقيا بعد 1541م، فتم القضاء على دولة بني زيان سنة1555م، وضمّت تلمسان إلى الدولة العثمانية بشكل نهائي، وأجبر الإسبان على الانسحاب من طرابلس الغرب سنة1552م، وميناء تونس سنة1553م،وبجاية 1555م، وحوصروا في وهران مرارا بعد 1556م، حيث زادت هيبة العثمانيين في نفوس الأوروبيين[3].

فبعد الانتصارات التي حققها خير الدين استرجعت الجزائر كل المراكز الساحلية التي كانت بيد الإسبان، فكان استرجاع مدينة جيجل سنة1514م، بداية لنهاية الوجود الإسباني في المغرب الأوسط، وهو ما تحقق بعد استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير عام 1792م، لتنتهي الحرب الصليبية التي دامت حوالي ثلاثمائة سنة ما بين الإسبان والجزائريين (1792-1492م)، وتم توسيع رقعة البلاد الجزائرية إلى أن وصلت حدود الصحراء (ورقلة وتقرت)، على عهد البايلرباي صالح رايس، فاكتسبت الجزائر بذلك مكانة خاصة وهيبة بين الدول آنذاك حتى أصبحت تعرف ب 'دار الجهاد' و'قلعة الإسلام '، الصامدة في وجه القوة المسيحية حسب وصف كتاب ذلك العصر[4]، و اكتمل فيها كيان الشعب الجزائري، وعرفت فيها البلاد الجزائرية مقومات الدولة الحديثة، بعد أن ظلّت الهوية الجزائرية مجهولة[5].

---

[1] **خير الدين**: كان أباه يعقوب من فرسان الصبايحية، وله ثلاثة إخوة، اسحاق وعروج والياس، ولد في جزيرة مدللي، إحدى جزر اليونان حوالي سنة1483م، وتوفي سنة1546م، وهو أول بايلرباي على الجزائر خلال العهد العثماني، **ينظر**: مجهول: **سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر**، المرجع السابق، ص ص 5،21.

[2] **بربروس**: كلمة فرنسية، أطلقها الأروبيون على عروج وخير الدين، لأن لحية عروج كانت حمراء مائلة إلى الصفرة، وفيما بعد عرف خير الدين أخوه باسم بربروسا، وكان أصدقاء عروج ينادونه بابا عروج احتراما له، **ينظر** مجهول: **غزوات عروج وخير الدين**، مرجع سابق، ص 10.

[3] - محمد دراج: **الدخول العثماني**، المرجع السابق، ص 327.

[4] - أسماء ابلالي: المرجع السابق، ص 65.

[5] - جميل عائشة: المرجع السابق، ص 22.

حظي الإخوة بربروس بمكانه واحترام كبيرين لدى العلماء، وكان الإخوة يستشيرون العلماء في كل صغيرة وكبيرة خاصة في الاحكام الشرعية واستصدار الفتوى منهم، بل أكثر من ذلك كانوا يقومون بإشراكهم في الكثير من القضايا السياسية والدّينية، فكان ذلك سببا في توثيق الصلة بين العثمانيين والأهالي وتمّ هذا بوساطة هؤلاء العلماء، وإعطاء الصبغة الشرعيّة والدّينية للوجود العثماني بالجزائر[1] .

ثانيا–انضمام الجزائر للدولة العثمانية:

جاء في بعض الروايات التاريخية أن اتصال الجزائر بالدولة العثمانية يعود إلى سنة 1514م، عندما دخل عروج وخير الدين إلى مدينة جيجل[2]. وقد سارع الإخوان إلى ارسال بعض الهدايا للسلطان سليم الأول[3]، وكان رد فعل السلطان على ذلك بإرسال إليهما 14سفينه حربية مجهزة بالعتاد والجنود، وحظي الإخوان بدعم سكان المنطقة.

إنّ اتصال أهالي مدينة الجزائر بالسلطان سليم جاء وفق رسالة مؤرخة في 26 أكتوبر1519م،الموافق ل925هـ، وقد حملها وفد باسم قضاة وفقهاء وأئمة، وتجار و أعيان جميع سكان مدينة الجزائر[4]، ويعود هذا الأمر منذ أن استشهد عروج استعصت الأمور على أخيه خير الدين لما رآه من كثرة المتآمرين عليه وتمرد بعض السكان، قرر مغادرة البلاد والالتحاق بالخلافة العثمانية في استانبول، إلا أن مجلس أعيان مدينه الجزائر ألحوا عليه بالبقاء بينهم، فرد عليهم، وقال لهم (**إني قد عزمت على سفر إلى حضرة السلطان و أمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من مجاهدين ومن وصل إليكم من أهل الأندلس وما تركت عندكم من العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعمائة مدفع ، ولم يكن في بلادكم إلا واحد)،**

---

[1] – محمد دراج : المرجع السابق، ص 380.

[2] – عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص89.

[3] – **سليم الأول**: سلطان عثماني، ولد في أكتوبر 1470م، ابن السلطان بايزيد الثاني الذي لتنازل له على العرش سنة1512م، اضطهد الشيعة وهزم الشاه إسماعيل الأول الصفوي في موقعة جالدران1514م، وفتح سوريا 1516م، ومصر1517م، تربع على عرش الخلافة، فكان أول الخلفاء العثمانيين، تميز عهده بالفتوحات التي تحولت في أيامه من الغرب الأوروبي إلى الشرق ، **ينظر**: منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد وموسوعة التراجم لأشهر أعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، مستقاة من موسوعة المورد**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م، ص 241. **وينظر أيضا**: محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي، دار النفائس،ط1، بيروت1971.

[4] – عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص 90.

فقالوا كلّهم له (**يا أيّها الأمير لا تطيب لنا أنفسنا بفراقك ولا نسمح بذلك، فالله الله في أمّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله يسألك يوم القيامة عنهم**)، ومن جملة ما خاطبه العلماء به أن قالوا له (**أيّها الأمير يتعيّن جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذّب عن ضعفاء أهلها، ولا رخصة لك في الذّهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو**) فعند ذلك قال لهم خير الدّين " **أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم وقد ظهر لي من الرأي أن تصل يدنا بطاعة السّلطان الأعظم، مولنا السّلطان سليم فيمدّنا بالمال والرّجال وما نحتاج إليه من آلة الجهاد، ولا يكون ذلك إلّا بصرف الخطبة إليه و ضرب السّكة عليه.**"[1]، بناء على ذلك كتب سكان أهل المدينة رسالة إلى السلطان العثماني، يخبرونه بصرف طاعتهم إليه خضوعهم وولائهم وتعيين خير الدين حاكما على الجزائر [2].

وعلى إثر شيوع أخبار الغزوات التي يقوم بها الإخوة والبحارة الأتراك المرافقين لهم في غرب البحر المتوسط، التي بلغت عاصمة الدولة العثمانية استانبول، وأثارت في نفس الوقت الهلع في أوساط الممالك الأوروبية، والمتتبع للأحداث يرى تجاوبا وتعاطفا كبيرا من قبل البلاط العثماني للعمل الكبير الّذي يقوم به الإخوة في سواحل المغرب الإسلامي في صد العدوان الصليبي ويمكن تفسيره من ناحيتين:

- التعاطف كون البحارة أتراكا عثمانيين.
- العامل الأهم يتمثل في رابطة الدين وجهاد الصليبيين وحماية أرض الإسلام.

ومن جهة ثانية فإن خير الدين لما فقد أخاه عروج، إضافة إلى زيادة الحملات ومحدودية الوسائل الحربية كونها في أغلب الأحيان إمكانيات ذاتية فهي غير قادرة على مجابهة الجيوش الصليبية المنظمة عددا وعدّة، ولا بدّ من بذل جهود مضاعفة كذلك في قضيّة تخليص مسلمي الاندلس ونقلهم لسواحل المغرب الإسلامي، واستكمال تحرير المدن يحتاج كذلك إلى دعم بقوة الدولة العثمانية، خاصة بعد التأكد من تخاذل السلطان الحفصي في دعم الإخوة بالمعدات الحربية. وهكذا فإنهما انتهزا أول فرصة أتيحت لهما لكي يقوما بإرسال وفد من الأهالي مع شخصية هامة إلى السلطان العثماني ممثلة في

[1] – محمد بن رقية التلمساني: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، مخ ،م،و،ج ،ض، تع: خير الدين سعيدي الجزائري، الجزائر ، أوراق ثقافية للنشر والوزيع،ط1 ،2017، ص107.

[2] – عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص90.

شخص بيري رئيس ابن اخت كمال رئيس، الذي كلفه السلطان بايزيد الثاني بالإغارة على سواحل إسبانيا حينما استغاث به مسلمو غرناطة[1].

وهكذا أدّى هذا الاتصال إلى اعتبار الجزائر أول إقليم في شمال إفريقيا والبحر المتوسط يدخل ضمن لواء الخلافة العثمانية، استجابة لطلب لسكان مدينة الجزائر، وليس ناتجا عن غزو أو فتح، وقُدّم لها الدعم العثماني بالجنود والسلاح، وأصبحت على إثر ذلك إيالة عثمانية واتخذت مدينة الجزائر عاصمة لها.

وخلاصة القول أن البحر المتوسط وإشراف الجزائر على سواحله، كان عاملا مهما في التأثير على العلاقات الجزائرية الأوروبية، كما أن الوضع السياسي العام في المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط، والذي ميزت اطواره الفرقة والتشتت من جهة، وتزايد التحرشات الإيبيرية من جهة أخرى، كان عاملا رئيسيا وظرفا زمنيا مهما في دعوة الأتراك العثمانيين، لتقديم يد المساعدة، ووضع حد للهجمات الإيبيرية، الأمر الذي لم يكن لينجح في ظل فراغ كبير في القوة البحرية، مما استوجب بعث القوة البحرية العثمانية في المغرب الإسلامي، في القرن 16م.

[1] – محمد دراج: المرجع السابق ، ص ص224-225.

الفصل الثاني:

كرونولوجيا تشكل الأسطول الجزائري وأدواره المختلفة

المبحث الأول: تشكل الاسطول وتطور نشاطه البحري

المبحث الثاني: الموارد البحرية للأسطول ودورها الاقتصادي

المبحث الثالث: طبيعة العلاقات الخارجية للجزائرية العثمانية

بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وتثبيت الحكم العثماني بها عرفت الجزائر وضعا سياسيا جديدا استطاعت بذلك أن تفرض وجودها في الحوض الغربي للمتوسط بعد بروزها في القرن 16م كقوة بحرية سياسية قوية جدا، فهي تعد النواة الأولى التي تشكلت منها القوات الجزائرية عامة حيث تم الاهتمام بها وتطويرها باستمرار من الناحية المادية والبشرية، إلى أن أصبحت الجزائر تمتلك أسطولا بحريا كبيرا في الحوض الغربي للبحر المتوسط منذ العقدين الأوليين من القرن 16م ليشهد العصر الذهبي طيلة القرن 17م، ثم يبدأ في التراجع والضعف أواخر القرن 18م.

المبـــحث الأول: تشـكـــل وتـــطور نشـــاط الأسـطـول

1- النواة الأولى لتشكل الأسطول

تكونت البحرية الجزائرية، في القرن16م، من البحارة الذين جاء بهم الإخوة بربروس، وبعد أن أقام الإخوة سلطتهم في الجزائر، اهتموا كثيرا بتنمية وتطوير هذه النواة، من الناحيتين المادية والبشرية[1]، فأنشئوا مجموعة من المراكب البحرية، وتمركزوا بها في مدينة الجزائر، واتخذوا ميناءها بعد تطويره وتحصينه، وتصليحه ودعمه بالسفن والمدافع، كقاعدة بحرية هامة لبناء المراكب الجديدة، وإصلاح القديمة والمعطوبة وتجهيزها، بكل ما يحتاجه الأسطول من معدات حربية، خاصة المدافع التي ركز عليها العثمانيون كثيرا[2].

كما اتخذوا العديد من موانئ الساحل الجزائري من الشرق إلى الغرب ودون استثناء وخاصة بعض المدن التي تمتعت بمكانة تاريخية واستراتيجية مثل : شرشال، دلس ،جيجل، سكيكدة، عنابة وتنس...، قواعد لهذا الأسطول الحديث[3]، الذي لعب دوره الرائد، في معظم أحداث الحوض المتوسطي، لمدة تزيد عن ثلاثة قرون ، وعليه تجمع المصادر على أن بداية النشاط البحري للجزائر، كدولة حديثة بعد انضمامها للخلافة العثمانية، بدأ فعليا في القرن 16م وتعاظم هذا النشاط في الثلاثينات من القرن 17 واكتسب شريعة قانونية دولية، وأخذ بعدا جهاديا دينيا استدلالا لقوله تعالى:﴿ **وهُوَ الّذِي سَخّرَ لَكُم**

1- صلاح العقاد: **المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة**، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية،1985، ص321.

2- عطلي محمد الامين: **نشاط البحرية الجزائرية**، مرجع سابق ص 67.

3- مجهول: **مذكرات خير الدين بربروس**، المصدر السابق، ص133.

البَحْرَ لتَأكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وتَسْتَخْرِجُونَ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وتَرَى الفُلْكَ مَواخِرَ فِيه ولَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلَهِ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾[1].

2-عـــوامل تشكـــل الأســـطـــول:

لقد كان الأسطول البحري يشكل اهتمام حكام الجزائر لأنه يعتبر محورا أساسيا في قوتها العسكرية ولأنه جعل من الجزائر قوة بحرية، وهذا راجع لجملة من العوامل المساعدة في تقوية وازدهار النشاط البحري منها:

- الموقع الجغرافي الممتاز للجزائر

شكل الغزو البحري نشاطا مهما لإيالة الجزائر، هذا الغزو لا يتأتى، إلا في ظل موقع جغرافي ممتاز يتيح لها السيطرة على مداخل، ومخارج البحر الأبيض المتوسط، فموقع الجزائر الممتاز وطبيعة سواحلها المطلة على أوروبا والمتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200 كلم، جعلها طيلة الفترة العثمانية محط أنظار وصراع بين دول ومماليك أوروبا، وخاصة دول الضفة الشمالية للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط حتى أطلق على مدينة الجزائر اسم" المحروسة والمنصورة ودار الجهاد"[2].

- اقترانه بفكرة الجهاد:

تعتبر عملية النشاط البحري، عملية مقدسة ودينية، إذ كانت العامل الأساسي وراء تطور فكرة الجهاد البحري لدى المسلمين، وهو ما يذهب إليه "عمار بن خروف" في كتابه: "العلاقات الاقتصادية والاجتماعية..." حيث يرى أن المغاربة عموما، والأندلسيين خصوصا تنامت لديهم فكرة الجهاد البحري، بعد الحملات الأوروبية على سواحل الجزائر وما لحق الأندلسيين من اضطهاد كبير، من طرف الإسبان[3].

---

1 - سورة النحل الآية: 13

2 - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا (1830-1500)**، ديوان المطبوعات، الجزائر ، 1980م، ص ص10-16.

3 -عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والغرب، في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي**، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص28.

وقد كان في طليعة من تطوع لركوب البحر لمواجهة سفن النصارى أهالي المدن الساحلية وعلى رأسهم جماعة الأندلسيين وطائفة المجاهدين الأتراك العثمانيين ومن التحق بهم من الاعلاج[1] الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام، وقد كانوا قبل ذلك يعانون الجور في بلادهم الأصلية من جراء النظام الإقطاعي والاستبداد الملكي آنذاك بالبلاد الأوروبية[2].

أما بالنسبة للأندلسيين فقد أخذوا على عاتقهم مهمة كبرى، وهي مساعدة المغاربة، بكل خبرتهم لتحقيق الانتقام من جلاديهم الاسبانيين.

- تطور هياكل البحرية الجزائرية وطائفة رياس البحر:

عرفت هياكل البحرية الجزائرية تطورا كبيرا في القرن 17، خاصة من حيث عدد السفن ورياس البحر العاملين في هذا المجال، حيث عرفت صناعة السفن تطورا ملحوظا، ما بين 1535-1650، استنادا لجاسوس إسباني[3]، الذي بين أن إنشاء الترسانة أو دار الصناعة يعود إلى ما قبل 1535م.

عرفت طائفة الرياس، وهي القوة الأولى التي اعتمدت عليها البحرية، تطورا هائلا في هذا القرن، وعرفت هذه الفئة بكفاءتها الحربية ومقدرتها القتالية العالية، التي مكنتها من تحقيق انتصارات واسعة، وبفضل هؤلاء الرياس أضحت البحرية الجزائرية، مدرسة رائدة للبحرية الإسلامية في العهد العثماني[4]،على رأسهم الإخوة عروج وخير الدين، الذين استخدموا الأساليب الحربية الملائمة مثل الالتجاء للغارات المفاجئة واستعمال بنادق البارود السريعة الطلقات والمدافع الخفيفة في هجماتهم، وكذلك امتلاكهم السفن المتطورة والقادرة على الإبحار في أعالي البحار المعروفة[5].

---

[1] -الأعلاج: هي العناصر السكانية الأوروبية التي عاشت بالجزائر وقد يكون منهم الاسرى والعبيد المسيحيين بالدم والأصل وكانوا يشكلون أكثر عناصر طائفة الرياس لمعرفتهم بالنشاط البحري، ينظر: حساني مختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الوسط**، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص22.

[2] – ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص133.

[3] _

DE .La Primaudaie, «**documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique** » in R.A 19. 1875, p166.

[4] -حنيفي هلايلي: **التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، ديسمبر، 2007، العدد24، ص ص 257- 261.

[5] -ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ص133.

وكذلك تجنيد الأوروبيين في البحرية الجزائرية والذين يسمون بالأعلاج، وهذا ما سمح لكثير منهم بتبوء منزلة مرموقة ومكانة عالية بعد اعتناقهم الإسلام وارتباطهم بالجزائر، رغم أصولهم المختلفة: (إغريق، إسبان، انجليز، هولنديون....)[1].

- الظروف الدولية والمتمثلة في التنافس بين الدول الأوروبية وما انجر عن ذلك من صراع وتوترات وكذلك التنافس الهولندي الفرنسي الانجليزي فيما بعد على اكتساب المستعمرات والسيطرة على التجارة العالمية أثناء القرنين 17و18م[2].
- التحرش الأوروبي بالسواحل الجزائرية فلقد لعبت عملية الغزو الأوروبي للساحل الجزائري دورا كبيرا في ضرورة الاهتمام وتقوية الأسطول لمحاربتهم وتخليص المناطق التي تعرضت للغزو منها الاسبانية 1541م، والفرنسية 1621م، المالطية 1647م، الدنماركية 1770م، والانجليزية 1824م....الخ[3].

وتبين جليا أن هذا النشاط البحري يسمو عليه الطابع الديني بالدرجة الأولى فهو جهاد في البحر ضد المسيحيين، وقد اكتسب نشاط البحرية الجزائرية خاصة طابع الجهاد البحري المقدس ضد قوى الكفر والطغيان كما اكتسب نشاط البحرية الجزائرية الجهادي أهمية بالغة الأثر في تاريخ الجزائر على مر العصور.

- عائدات الغزو: لقد كانت الغنائم من أكبر الدوافع لدى الولاة من جهة ورياس البحر من جهة أخرى، حين كانت هذه العائدات تساهم في النهوض بصناعة السفن ودعم الخزينة لما يناله من أسلاب، وكذلك مساهمتها في تنشيط الحركة التجارية خاصة تجارة البارود والأسلحة[4].

2- هياكـــل الأســـطـــول

لعب التواجد العثماني في الجزائر منذ سنة 1514م دورا مهما في انبعاث النشاط البحري الجزائري بقوة، حيث تأججت الرغبة في بناء أسطول في مستوى تنافسي شجع رياس البحر[5]، على

---

[1] -حنيفي: مرجع سابق، ص 47.

[2] -حنيفي هلايلي: **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 45.

[3] -يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص10.

[4] - نفسه.

[5] -رياس البحر: طائفة تنظيم عسكري في الجيش الجزائري خلال الحكم العثماني للمزيد أكثر ينظر: بن ميمون: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر،1981، ص42.

مواكبة تطورات تقنية مهمة بعد ارتباط خير الدين بربروس بالدولة العثمانية عام 1518م، وبذلك دخلت الجزائر تحت لوائها وأصبحت ضمن إيالاتها مما أكسبها نوعا من الحماية وردّ عنها كثيرا من الأخطار خاصة التحرش الاسباني[1]، الأمر الذي ساعد على التطور في عدد وأنواع السفن:

ويمكن أن نقدم إحصائيات موجزة عن عدد وحدات الأسطول انطلاقا من سنة 1516م، حيث جاء خير الدين بربروس من جيجل على رأس عدد من المراكب بلغ عددها 21 مركبا[2]، ولقد اهتم الإخوة بهذه النواة من الناحية المادية والبشرية ثم أنشأوا مجموعة من المراكب البحرية وتمركزوا بها بمدينة الجزائر وأسسوا ورش بناء السفن وإصلاحها بباب الزوار وباب عزون، واتخذوا من الموانئ الجزائرية كشرشال، دلس، جيجل قواعد لهذا الأسطول[3].

إن الأسطول الجزائري يستحق الإعجاب لأن خدماته لا تقتصر على الدفاع عن البلاد وحماية ثغورها فحسب بل تعدى ذلك، فحتى عندما يصل إلى بحر اسلاندا، أو شطوط انجلترا، أو بحر الشمال، أو المانش، والمحيط الأطلسي غازيا، كان ينال الإعجاب والاستحسان فضلا عن البحر الأبيض المتوسط الذي كان بحيرته دون منافس حيث انبرى إلى الدفاع عن السلم والأمن الدوليين وتحطيم شكوة القرصنة الأوروبية، كما وقف إلى جنب الدولة العثمانية[4].

لقد بدأ الأسطول الجزائري ينمو منذ مجيء الإخوة بربروس على ظهر الأمواج تلبية لنداء السكان[5]، ويجمل بنا أن نشير إلى الدور الذي لعبه خير الدين بربروس في غنم أكثر من ست وثلاثين سفينة اسبانية ضمت إلى البحرية العاملة، وقد أحصى دوفولكس عدد وحدات الأسطول بخمس وأربعين سفينة في

1-الجديري التلمساني: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة**، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد3، كلية الآداب، الجزائر، 1967، ص14.

2 - علي خلاصي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، الجزائر الحديثة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص209.

3 - صلاح العقاد: **المغرب في التاريخ الحديث والمعاصر "الجزائر، تونس، المغرب الاقصى"**، ط6، مكتبة الانجلو المصرية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة،1993، ص321.

4-مولود قاسم نايت قاسم: **شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل 1830**، ج1، دار البعث للطباعة، قسنطينة، 1985، ص74. وينظر: حليمي عبد القادر: **مدينة الجزائر ونشأتها وتطورها قبل1830**، المطبعة المغربية لدار الفكر الإسلامي،1972، ص ص280-282.

5 - الناصري محمد: **عجائب الأسفار**...المصدر السابق، ص 49.

سنة 1510م، وبحلول سنة 1530 أصبحت ستين سفينة، أما في سنة 1553م فخرج صالح[1] باشا بحوالي أربعين قطعة لغزو البرتغال، كما أنه جهز أسطولا صغيرا مكونا من 30 سفينة أهبة لتحرير وهران من يد الإسبان سنة1556 ، أما في سنة 1563م فبلغت القطع الراسية في الميناء اثنين وثلاثين قطعة أغلبها شواني ويقال أن الأسطول تطور وازدهر على عهد العلج علي حتى أصبح يتكون من 60 شانية شاركت جميعها في معركة ليبانت سنة 1571م إلى جانب الدولة العثمانية[2].

أسست الجزائر مراكز لتشييد السفن حيث عرفت ازدهارا وتطورا من حيث العدد وتزايدت عمليات الغزو البحري في الفترة الممتدة ما بين (1580-1650م) حيث بلغ عدد السفن عام 1581م حوالي 50 سفينة حربية لكل واحدة (15-24) مقعدا للجدف[3].

وفي عام 1588م ارتفعت إلى مئة قطعة مختلفة الأحجام وانخفضت إلى خمسة وسبعين عام 1619م، حيث بلغت السفن الصالحة للغزو البحري بين سنتي (1621-1634م) ما يقارب 86 سفينة حسب ما صرح به الراهب دان: "كانت الجزائر تمتلك أربع سفن شراعية كبيرة و9سفن صغيرة و70 من النوع الصغير...."[4]، حيث تذكر المصادر أن كبر الأسطول عرف أوجه ما بين سنتي (1621-1645م)، فقد أحصى قناصل فرنسا في الجزائر، ما يقارب 85 سفينة صالحة لعملية الغزو البحري، كلها على درجة كبيرة من التجهيز، وكذا الأسلحة في سنة 1621[5]. وبقيت عملية صناعة السفن في تزايد، إذ تجاوزت خمس وسبعون عام 1645م، وبعدها بدأت تشهد التناقص التدريجي، وحسب الدراسة التي قدمها" ألبير دوفوليكس" والذي عدّد وحدات الأسطول الجزائري في بعض السنوات من عهد الدايات، وهي كما يلي: في سنة 1770م، كانت بالأسطول 13 سفينة تحمل 196مدفعا، وقد تناقص هذا العدد في سنة 1775م، فكانت 9 سفن وتحمل 38 مدفعا، وقد وصل

[1] – صالح رايس: ترجع أصوله إلى الاسكندرية، كان مرافقا لعروج وخير الدين في حملاتهم البحرية، حكم الجزائر في الفترة (1552-1556) راجع،

- Haédo(D:Histoire..op.cit, pp 91-103.

[2]-Haédo(D):Topographie…op.cit,pp518-519.

[3] – علي خلاصي: **البحرية الجزائرية عبر التاريخ**، المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 1985، ص25.

[4] – ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 45.

[5]-Plantet,E : **correspondance de deys d'Alger avec la cour de France** , T.1 ,éditions Bouslama, Tunis ;1981, p17.

عددها سنة 1777إلى 18 سفينة تحمل 248مدفعا...، أما في عام 1792 فكان عدد المراكب 10 سفن تحمل 326 سفينة، وقد تزايدت إلى أن وصلت 14 سفينة عام 1820م[1].

أما القنصل الأمريكي وليام شالر فيقدر عدد وحدات الأسطول الجزائري قبل عقد الصلح مع الولايات المتحدة الأمريكية أنه كان بالجزائر أربعة بوارج حربية، تحمل ما بين 16 إلى 30 مدفع، بالإضافة لسفينة مزودة بصاريتين، وتحمل 20 مدفعا، وأخرى ذات مجاديف مزودة بـــ4 مدافع، وزيادة على ذلك 30 زورقا حربيا[2].

ويحصي لنا حنيفي هلايلي في كتابه بنية الجيش اعتمادا على المصادر الأوروبية عدد السفن الحربية للأسطول الجزائري خلال سنوات مختلفة:

1724	25 سفينة	1815	30 سفينة
1734	14 سفينة	1822	12 سفينة
1760	60 سفينة	1825	14 سفينة
1799	12 سفينة	1830	15 سفينة

حيث نلاحظ أن الأسطول بدأ يتناقص تدريجيا بعد أن وصل إلى أوج قوته في نهاية القرن 16م وطيلة القرن 17م ويعود هذا إلى عدة أسباب منها:

1- اشتداد الصراع الإسلامي المسيحي في المتوسط، خاصة في حرب كريت(1645-1669م) التي اعتبرت الجزائر من أهم أطرافها.

2- الخسائر الكبيرة التي تكبدتها الجزائر جراء هذا الصراع.

3- كثرة الأوبئة والأمراض والجمود الاقتصادي والانهيار الديمغرافي الذي عرفته البلاد الجزائرية نتيجة ما عرفته أوروبا من تقدم صناعي كبير.

---

[1]- Albert Devoulx :**La marine de la régence d'Alger** , revue Africain,1869, p419.

[2]- وليام شالر: **مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر(1816-1824)**، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1974م، ص62.

4-الغارات الأوروبية على المدن الساحلية الجزائرية، وذلك للقضاء على نشاط البحرية الجزائرية، وتراجع مكانة الجزائر دوليا من خلال إطلاق الأسرى وإلغاء الامتيازات، مما أدى إلى إبرام اتفاقيات مع الدول الأوروبية والذي سنتطرق إليه بالتفصيل لاحقا.

لقد كانت السفن الجهادية ضمن الأسطول تحمل جملة من الأسلحة المختلفة نذكر منها المدافع خاصة المختلفة العيار والأحجام، فبعضها بسيط ومنها الرائعة والقوية، أين نجد بعضها في متحف الانفليد الفرنسي كنصب مدفع بابا مرزوق[1]، نذكر من بين هذه المدافع مثلا مدافع لرمي الحجارة أو المهاريس، وتكون كبيرة الحجم وقصيرة، ومنها التي ترمي القنابل المحرقة وهي شبيهة بالمهاريس إلى جانب المدافع لرمي الكور، وهناك البازية الرامية لقنابل من الرصاص، ومنها مدافع قد أحدثت تغيرات جذرية في الاستراتيجية العسكرية[2].

كذلك تجدر الإشارة إلى البنادق بأنواعها منها الموسكية أو البندقية ذات زناد واحد يعمل بحجر الصوان أين تمتاز بزخارفها وتطعيمها بالعاج والمرجان...الخ، وهناك نوع آخر مصغر للبنادق وهو المسدسات[3].

5- أنــواع السفــن:

السفن أو مراكب البحر، أهم وسيلة لتحقيق المكاسب، والنفوذ على سطح البحار، كان للأسطول الجزائري أنواع عديدة من السفن منها المركب والسفينة والغليوطة والكرافيلة والغاليرة ويطلق على كل واحدة منها لفظ خاص، وكانت تلك المراكب خليط من كل نوع منها ما يصنعه الجزائريون في ورشهم ومنها ما يأخذ في البحر من المراكب البحرية والتجارية، يدخلون عليها إصلاحات وتعديلات ويجعلونها صالحة للعمل البحري فيعطونها الأسماء مثل: الخضراء، مفتاح الجهاد، أو يحتفظون بأسماء المراكب التي يأخذونها في البحر[4].

يذكر المنور مروش أن أهم السفن التي انتشرت في الجزائر، والتي أولاها الرياس اهتماما كبيرا هي السفن الحربية الكبيرة والمشكلة للقوة البحرية الأساسية لأسطول الإيالة: الفرقاطات والكوربيطات والسفن من

---

[1] - علي خلاصي: المرجع السابق، ص27.

[2] - المرجع نفسه، ص27.

[3] - نفسه، ص28.

[4] - هلايلي: التنظيم العسكري، مرجع سابق، ص ص 265- 270.

نوع بريك، وكانت تهم المراقبين الأجانب بالدرجة الأولى[1]، كما انتشرت السفن الشراعية والمراكب الصغيرة المستخدمة للصيد البحري والتنقل قرب الساحل منها" التارتان، الفلوكة والشباك"[2]، يضاف إلى هذه السفن عدة أنواع وبالاعتماد على ما كتبه غرون شو:

بينك pinque، ولانشون lanchon، وكيرلارجي kirlangurch، وأخرى أهمها:

كورفيت corvette، وكيتر cutter، فلوك flouque ، و بومبارد Bombarde، برقانتي Brigantin، شباك chebek، غواليت Goëlette، بولاكر polacre، سبرونار speronare، وتارتان Tartane، وتراباكولو Trabacolo[3].

وبعد قراءات متأنية في عديد الدراسات التاريخية التي اهتمت بالأسطول الجزائري وحجمه خلال العهد العثماني، قمنا باستخلاص أنواع السفن ومميزاتها في الجدول التالي[4]:

أنواع سفن الأسطول الجزائري ومميزاتها:

نوع السفينة	القالير	الغليوطة	الغليون	الشباك
	La Galère5	La Galiote	La Galion	Le chebeck6

[1]- المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة، الأساطير، والواقع**، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص403.

[2] - سمير مشوشة: **الموارد البحرية للجزائر العثمانية**، مرجع سابق، ص89.

[3] Grand champ .p: **le document relatif a course Tunis** .paris .op .cit, pp82-90.

4 - بوعزيز: الموجز، مرجع سابق، ج2، ص ص147-149. وللمزيد عن أنواع السفن راجع: عطلي، مرجع سابق، ص ص75-79. وأيضا غطاس وآخرون: مرجع سابق ص ص96-97، وكذلك، سمير مشوشة: الموارد البحرية: مرجع سابق، ص ص90 91، أيضا حليم سرحان: **تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على العهد العثماني (920-1240)/(1514-1830) من خلال المصادر التاريخية والأثرية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، اشراف صالح بن قربة ،معهد الآثار ،جامعة الجزائر، 2007-2008 ص ص 123-158.

[5]- Belhamissi : **Marine**, Op.cit, T1, p p165-167.

وقال عنها بلحميسي:" سفينة البحر المتوسط المخصصة للحرب"، وهي سفينة متعددة المهام، ولتفاصيل أكثر عن مميزاتها راجع، عقيل لطف الله: **تاريخ الجزائر الحديث**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق،2014، ص170.

[6]-Belhamissi: Op.cit, pp170-171.

ميزاتها	سفينة حربية، أكثر الأنواع تواجدا، طولها 50م، تتكون من عدة طبقات، حمولتها متوسطة[1].	تحتوي على 14إلى 25 مصطبة، 20 مدفع و10إلى30 بحار.	مركب حربي كبير من أهم السفن التي غنمها في المتوسط خاصة من الإسبان	مركب مزدوج(أشرعة، مجاديف) به 12إلى 13مدفع، 30 مجداف و30 إلى 200 بحار.

نوع السفينة	الفرقاطة La Frégatte	البريك Le Brick	الشالوب Chaloupe	الكرافيل La Caravelle
مميزاتها	مركب حربي حمولته أكثر من الكورفين، معدة للأسفار الطويلة[2]	مركب صغير الحجم له مجدافان وشراعان	مركب صغير قد يستعمل للصيد البحري.	مركب صغير الحجم يستخدم للتنقل المحلي وحتى للصيد البحري.
نوع السفينة	البولاكر Le Polacre	الشطية[3] Chettia	العشارية Ocharia	الغراب Corvette[4]

[1]-درويش النخيلي: **السفن الاسلامية على حروف المعجم**، ط2، دار المعارف، الاسكندرية،1979، ص83. راجع أيضا عبد الحميد بن أشهنو: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، مرجع سابق ص 104.

[2]-بن أشهنو: مرجع سابق، ص105.

[3] – الشطية: سميت بهذه التسمية بسبب عدم قدرتها على الابتعاد عن الشاطئ، ويقال أن تسميتها مشتقة من الكلمة الايطالية ظهرت منذ القرن17م، عرفت بسرعتها وصغرها، استعملت في الحروب والتجارة وصيد الأسماك، راجع، بن أبي الدينار: مصدر سابق، ص203.

[4]– قال عنها الزهار:" مركب يسافر بالمقاذيف، وهي أربعة وعشرون مقذافا، على كل مقذاف أربعة رجال، وليست له قلاع، وعليه مدافع كبيرة." راجع، الزهار: مصدر سابق، ص16.

مميزاتها	مركب حربي ذو ثلاثة مجاديف وشراع واحد.	مركب صغير لحراسة السواحل وقد يستعمل حتى للصيد البحري.	مركب صغير الحجم يستعمل لأعمال محلية: كالتنقل، الصيد.	مركب حربي صغير قوي في القتال، يسير ب24 مجدافا[1].
نوع السفينة	القوليت Le Goélette	الطريدة La Tarida	الفوستة Fuste	البيرقانتين Le Birgantine
مميزاتها	مركب صغير ذو صاريين، يسير بالأشرعة.	نوع من القالير، سريعة، تستعمل في المطاردة البحرية ونقل البضائع[2].	مركب سريع الحركة يسير بالأشرعة والمجاديف.	يصنع بشرشال، تسير بالمجاديف.

بالإضافة إلى هذه نجد أنواعا يمكن اعتبارها كملحقات للأسطول منها اللنجور، الفلوكة، الكنبري[3]، الدانزيك، القص، الغزال، الشقف، القارب، الصندل، السنبوق، الزورق[4]، والكارقو...، وهي سفن صغيرة مستعملة للتجارة والصيد البحري[5]. أما الشريف الزهار فقد ذكر لنا بعض أنواع السفن الجزائرية في العهد العثماني منها، النجور واللقنشون والبلاندرة[6]

[1]- إبراهيم أحمد العدوي: **الأساطيل العربية في البحر المتوسط**، مكتبة النهضة، القاهرة، 1957، ص153.

[2]- أنور عبد العليم: **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1979، ص95.

[3] -Belhamissi: Marine .Op.cit, T1.p173.

[4]- سرحان: مرجع سابق، ص154.

[5]- بن اشهنو: مرجع سابق، ص106.

[6] - الشريف الزهار: مصدر سابق، ص ص 24-25.

وتجدر الإشارة ان كل هذه الأنماط منها ما هو محلي الصنع كالقصر والغزال وأخرى يتم الحصول عليها كغنائم في المواجهات البحرية مع الأساطيل الأوروبية، وبعضها يتم اقتطاع قيمتها أحيانا من جدول الإتاوات والضرائب المفروضة عليها[1].

وعلى العموم فقد سجل خلط كبير في عديد الدراسات التاريخية حول تفاصيل وأسماء المراكب، فالسفينة الواحدة قد ترد بعدة أسماء ووظائف مختلفة، فنجد أن أغلب السفن ذات طابع حربي لكنها في أوقات السلم تخصص للتجارة والرحلات والتنقل والحج والصيد البحري[2]. أما الأوروبيون فكانوا يسمون السفن الجزائرية من خلال الرسومات المتواجدة في خلفية المركب كالأسد الأبيض، الزهرة الذهبية، والغزالة الكبيرة، والهلال والبرتقالة الذهبية، التنين ذو سبعة رؤوس، الحصان الأبيض[3]، وقد تميزت السفن التي تصنع في الجزائر بعدة خصائص منها صغيرة الحجم، وفائقة السرعة[4].

5- الهيئات القيادية للأسطول:

لم تكن عملية الغزو البحري عملية عشوائية، وإنما كانت منظمة لها هياكلها، ومؤسساتها التي أضفت عليها طابع العملية الحكومية، البعيدة عن النرجسية والاعمال الفردية، ففي إطار إعادة التنظيم الأساسية، لبنية الحكم أنشئت هيئات قيادية جديدة في البحرية، لتستمر إلى غاية نهاية العهد العثماني بالجزائر، وقد أخذت هذه الهيئات[5]، ومن بين أهم هذه الهيئات لتنظيم الغزو البحري وشؤون البحرية نجد:

- **طائفة رياس البحر:**

حيث كانت هذه الفئة هي القوة المحركة للأسطول المكون من البحارة الذين التحقوا بالإخوة بربروس فلقد لعبت هذه الفئة دورا عظيما خاصة بعد تزايد نشاط الغزو البحري والجهاد البري الذي كان تحت راية رياس البحر، هذه الطائفة التي كانت العمود الفقري لاقتصاد الإيالة الجزائرية وذلك بالنظر إلى

---

[1]- ب.وولف: مرجع سابق، ص ص186-188.

[2]- مشوشة: المرجع السابق، ص92.

[3]- هلايلي: **التنظيم العسكري**، مرجع سابق ص270.

[4]- أرزقي شويتام: **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية (1830-1519)**، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر،2010، ص97.

[5]- أمين عطلي : مرجع سابق ص79.

حجم الغنائم وعدد الأسرى[1]، تكونت هذه الطائفة في بداية القرن 16م انضم اليها الأندلسيون والأهالي والعناصر المسيحية، وكان يشترط على المسيحيين الدخول للإسلام من أجل العمل ضمن صفوف الطائفة[2].

كانت هذه الطائفة تتمتع بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة، يقهرون النصارى في أراضيهم[3]، ولقد تحدث حمدان خوجة في قوله: "أنهم كانوا يبحرون بشجاعة وإقدام موقنين بأنهم إنما يستشهدون في سبيل الله....[4]".

ومن أبرز رياس البحر نذكر: الإخوة عروج وخير الدين بربروس، وعلج علي[5](1507-1587م) وصالح رايس[6](1552-1556م) والرايس حميدو[7](1765-1815م).

- **رتب طاقم السفينة:**

لقد كان لطائفة رياس البحر كأي مؤسسة بحرية وقتئذ رتب وطرق للترقية، حيث لكل سفينة من سفن أسطول دار الجهاد طاقم معين من الرجال قد يكون كبيرا وقد يكون صغيرا ويتألف عادة مما يلي:

1- القبطان رايس: وهو قائد السفينة، وأحيانا يكون مالكها الشخصي.
2- شاشا رايس: وهو نائب قبطان السفينة.
3- صوصو رايس: وهو النائب الثاني لقبطان السفينة.
4- رايس العسة أو الورديان: وهو مكلف بتفتيش المركب والإشراف على صيانته والعناية به.

---

[1]- نفسه ،ص82.

[2]- أرزقي شويتام: مرجع السابق، ص 40.

[3]-مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص75.

[4]- حمدان خوجة: **المرآة**، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985، ص155.

[5]-اسمه الحقيقي هو "لوكاقيلني" ينتمي لعائلة فقيرة تقع جنوب إيطاليا تكون على يد رجال بحر أقوياء منهم خير الدين خلال القرن 16م. ينظر: سي يوسف محمد: **أمير الجزائر علج علي**، دار الأمل للطباعة والنشر، 2009، ص52.

[6]- كان من الذين صاحبوا عروج وخير الدين في أعمالهما البحرية، فلقد امتاز بالفطنة والدقة وصواب الرأي ينظر: أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص337.

[7]- يعتبر من أبرز رياس البحر، جزائري الأصل ولد بالعاصمة سنة 1770 للمزيد ينظر: علي تابليت: **الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815**، منشورات ثالة، الجزائر، 2006، ص3.

5- باشا طبجي: أو ما يعرف بضابط المدفعية في المركب ومهمته الإشراف على صيانة المدافع واستعمالها في وقت الحرب.

6- باشا دومانجي: وهو الضابط المسؤول عن الأشرعة في المركب، ومهمته الإشراف على كيفية استعمالها[1].

7- الخوجة: وهو الكاتب الذي يضبط أمور المركب أي فيما يخص ما يحمله من الأمتعة والذخائر.

8- الخزناجي: وهو محافظ الخزينة، الذخيرة الحربية والأموال اللازمة للصرف والأغذية.

9- باشا جراح: وهو الطبيب الجراح المكلف بمعالجة المرضى والمعطوبين خلال السفر والمعارك الحربية للبحرية[2].

10- الإمام: ومهمته تتمثل في تلاوة القرآن الكريم وإمامة البحارة في الصلاة والدعاء لهم بالنصر خلال المعارك وهذا إن دل فهو يدل على تأصيل الروح الدينية بين الجنود والبحارة.

6- مراحل تطور النشاط البحري للأسطول الجزائري:

إن الإحساس المشترك الذي ربط بين الجزائريين والعثمانيين هو الذي وحد طاقتهم، إننا نتحدث عن ذلك الإحساس الذي يشعل رغبة الجهاد ضد الكفار بالمعنى التقليدي للكلمة لينضم إليهم الأندلسيون المضطهدون، إن هذا الجهاد البحري هو الذي حمل الإخوة بربروس على ترك وطنهم والمجيء إلى الحوض المتوسطي طالبين الشهادة واهبين أنفسهم لله تعالى حاملين شعار " ما دامت الموت نهاية كل حي فليكن في سبيل الله". **مصداقا لقوله تعالى:﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذِّينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونْ﴾**[3].

1- مرحلة الجهاد البحري (حرب الأرمادات) 1519-1577:

كانت البحرية الجزائرية غداة تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة سنة 1519م موسومة بطابع جهادي محظ، لأن معظم أراضي شمال افريقيا كانت تحت السيطرة الاسبانية، لذلك عمل بايلربايات

---

[1]-هشام بوشاهد، عبد الحميد فراقة: **البحرية الجزائرية ونشاطها في البحر المتوسط(1518-1830)**، مذكرة ماستر في التاريخ العام، جامعة 8ماي 1945، قالمة 2015-2016، ص ص 55-56. ينظر كذلك: يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص417.

[2] - هشام بوشاهد: المرجع نفسه، ص56.

[3] - الآية 169 ، آل عمران.

الجزائر على محو التواجد الاسباني المسيحي في أراضي المسلمين[1]، لذلك كانت البحرية الجزائرية موجهة لضرب البحريات الأوروبية الصليبية، ولإنقاذ المسلمين الأندلسيين، ففي تلك الظروف السياسية والنفسية التي كان يعيشها مسلمو الأندلس، وفي ظل القمع والاضطهاد الرهيب الذي فرضه عليهم التعصب الكنيسي والملكي والهمجي[2]، سجل التاريخ ما بين 1563-1571م أعظم الأحداث الجسام في تاريخ التصادم بين الروح الصليبية والمد الإسلامي ففي عهد كل من البايلرباي "حسن باشا" و"علج علي" سجل الحضور المكثف للبحرية الجزائرية في عرض البحر المتوسط، أعنف هجماته على الملاحة البحرية الصليبية، كما أحدثت أخبار المقاومة الموريسكية المسلحة بجبال البشارات 1568و1570م مدعمة من قبل البحرية الجزائرية أعظم التضحيات[3].

كذلك انهزام الأسطول العثماني أمام التحالف الصليبي الكبير في معركة ليبانت ونجاة أسطول الجزائر من التحطم في هذه المعركة بفضل حنكة رايسها " علج علي" والذي غدا أميرال الأسطول العثماني، فكل هذه الأحداث أضرمت سعير الحقد الصليبي ضد الإسلام، وفي المقابل جعلت من الجزائر دار الجهاد الإسلامي التي تعلق عليها آمال المسلمين في الجزء الغربي من البحر المتوسط[4]. فاعتبرت الجزائر بمثابة سيف الإسلام المسلول في وجه الامبراطوريات الصليبية بالجزء الغربي من الحوض المتوسطي، وهذا ما دفع بالمؤرخ الأمريكي " وليام سبنسر" بالقول:"... إن مدينة الجزائر كعاصمة لدولة مستقرة وقوية في شمال افريقيا قد مثلت... طرف القوة الإسلامية العثمانية القاطع والمنهمك في المقارعة الصليبية ضد المسيحية، كالشفرة الحادة المدفوعة بعمق التراب المسيحي[5]".

لقد كانت عملية الجهاد البحري أو كما يسميها الأوروبيون بالقرصنة إذا تحمل طابع الحرب المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين، ولكن الطابع الديني بدأ يضعف ويفسح المجال للطابع الاقتصادي بعد توقف الصراع الكبير بين الدول الكبرى حيث أفسح انتهاء حرب "الأرمادات" المجال "لحرب المغامرات" المربحة.

---

[1] - محمد بن سعيدان: **الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن11هـ/17م**، مجلة الحوار المتوسطي، عدد7، 30سبتمبر 2017، ص 84.

[2] - جون .ب. وولف: مرجع سابق، ص191.

[3] - بن سعيدان: مرجع سابق، ص85.

[4] - حنيفي هلايلي: **التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص257.

[5] - وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 123.

2- مرحلة الغزو البحري أو (حرب المغامرات) 1711-1577:

في نهاية سنة 1577م، انتهى الصراع الذي احتدم منذ بداية القرن السادس عشر بين الخلافة العثمانية والامبراطورية الاسبانية خاصة بعد تحرير تونس سنة 1574 والذي يعتبر آخر عمل بطولي قام به الأسطول العثماني في المنطقة فبدأت حدة الصراع تتلاشى بينه وبين الإمبراطورية الاسبانية وعقدت لأول مرة هدنة سنة 1577 مع الدولة العثمانية بطلب من اسبانيا[1].

لقد كلفت الحروب كلا المعسكرين خسائر باهظة من الرجال والعتاد، فكانت مسؤولة إلى حد كبير عن الإفلاس المالي الذي أصاب كلا الامبراطوريتين. وفي هذا يقول المؤرخ الجزائري المنور مروش:"... الجهود الهائلة التي تطلبتها رغبتهما النهمة في فتح أقاليم واسعة كانت في نظرهما مظهرا للعظمة والمجد الامبريالي، هذه الجهود أنهكت القوى وغرست بذور التدهور والانحطاط في هذا الجسم المتضخم"[2].

بدأت البحرية الجزائرية تتحول شيئا فشيئا نحو الغزو البحري الذي كان الهدف من ورائه هو القيمة الاقتصادية، ومن هنا كانت نقطة التحول من الجهاد البحري إلى الغزو البحري، وبذلك غدت القرصنة الجزائرية تتمحور بشكل أساسي حول فكرة الغنائم الجيّدة والثمينة، لا حول فكرة الدين، خاصة بعدما احتضنت البحرية الجزائرية المغامرين الأوروبيين الرّاغبين في الثراء السريع[3]. ففي عام 1623م كان الأسطول الجزائري يستطيع أن يجمع 70 سفينة شراعية، وأثناء الحرب ضد فرنسا (1634-1630) استطاع القراصنة الجزائريون أن يستولوا على 80 سفينة وأسروا ما يزيد عن 1300 أسير، وقد بلغت مكاسب هذه الحرب المليارات من الفرنكات القديمة[4].

لقد كانت القرصنة بمثابة الدخل الوحيد للجزائر، كانت حكومتها تدعمها وتحميها باستمرار وبذلك طرأ على النشاط البحري نمو كبير وأصبح لها تأثير قوي على اقتصاديات المجتمع الجزائري أين أصبح له وسائل ضخمة، وعليه أصبحت عملية النشاط البحري والاقتصادي مترابطة فهذا يرتفع وذلك

---

[1]- المنور مروش: مرجع سابق، ص192. انظر أيضا: إسحاق زيتوني: **تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية**، المجلة التاريخية، جامعة محمد بوضياف مسيلة، عدد9، سبتمبر2018م ص ص122-124.

[2]- المرجع نفسه، ص193.

[3] فرنان بروديل: **المتوسط والعالم المتوسطي**، تع: مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1993، ص153. 3

[4]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق ص39.انظ أيضا: إسحاق زيتوني: المرجع السابق، ص125.

يستفيد من التقدم والازدهار، ظلت البحرية تبحث في الربح وبدأت تتحكم في النظام المالي، ويقوم عليها البناء الاقتصادي للجزائر وبالتالي زاد اهتمام السلطة الحاكمة بالمسائل الخارجية على حساب الأمور الداخلية للبلاد باعتبار الدولة تعتمد على ما تحصل عليه من غنائم وأسرى وإتاوات وهدايا مفروضة[1]، وبذلك طرأ على القرصنة نمو كبير وأصبح لها تأثير قوي على اقتصاديات المجتمع الجزائري إن تنظيم القرصنة أصبح جهازا واضح المعالم، وصارت له قواعد ثابتة وتقنيات متجددة ووسائل ضخمة متزايدة[2].

إن رفاهية الجزائر التي استمرت إلى منتصف القرن 17م والرخاء الذي ساد مدينة الجزائر ونواحيها، لم يكن إلا تحصيل حاصل لنشاط البحرية الجزائرية والمغامرين الجزائريين الذين طبعوا هذه الفترة بطابعهم.

3- مرحلة الدبلوماسية " شرطة البحر"(1700-1800)

إن التحول الثالث والأخير في مهام البحرية الجزائرية تمثل في التكيّف التدريجي للأسطول الجزائري مع الظروف العالمية الجديدة، فقد تأثر نشاط القرصنة الجزائرية بوضع الحكومة، حيث عرفت هذه المرحلة بتحويل مهام البحرية الجزائرية أين اتجهت ملكية السفن شيئا فشيئا نحو الملكية العامة وتقلص عالم رياس البحر الذين أصبحوا أكثر من أهالي، فقبل كانت البحرية مملوكة من قبل الرياس أو الأغنياء الذين يملكون الأموال بالمدينة[3].

إن هذا التحول الذي مس البحرية بتحويلها إلى ملكية عامة برزت على المستوى الدبلوماسي الجزائري الخارجي، مما جعل سلطة السياسة الخارجية تنتقل ليد الحكومة الجزائرية التي امتلكت اليد المطلقة في عقد المعاهدات، وإقرار السلام مع الدول الأجنبية وأصبحت عملية النشاط البحري الجزائري

1- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1793-1830)**، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، 2012، ص66. وينظر أيضا: إسحاق زيتوني: **البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519-1800)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، 2011-2012، ص ص 36-39.

2 - المنور مروش: المرجع السابق، ص191. ينظر أيضا: محمد الأمين عطلي: مرجع سابق، ص36.

3 - سارة ديلمي، نجية برة: **البحرية الجزائرية ودورها في الصراع الإسلامي المسيحي خلال العهد العثماني(1514-1830)** مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة بوضياف المسيلة،2019-2020، ص 49.

أكثر انتظاما من السابق، تمارس نشاطها مع احترام القواعد الدولية وهذا ما سهل على الانتظام والاستقرار[1].

إن الجهاد أصبح في القرن 18م مجرد أداة دبلوماسية على أن مهام البحرية الجزائرية تحولت إلى ضمان احترام الدول الأجنبية للمعاهدات التي أبرمتها مع السلطات الجزائرية وبذلك أصبح الجهاد البحري مهمة ثانوية للبحرية الجزائرية، لقد كانت التجاوزات الفردية بمبادرة بعض المجاهدين لم تنتهي بعد وإنما أصبحت نادرة، غير أن هذا التحول أدى إلى ضعف البحرية الجزائرية وجعل حكومة الإيالة تقوم بفرض إتاوات وهدايا لحكومة الداي مقابل حرية الملاحة والتجارة مع الجزائر وتفرضها على الدول الأوروبية[2].

المبـحث الثاني: الموارد البحرية للأسطول ودورها الاقتصادي

إن مظاهر قوة البحرية الجزائري في العهد العثماني كانت تضمن للدولة مداخيل معتبرة كانت تأتي من ثلاثة مصادر أساسية: حمولات السفن بالغنائم التي تُأخذ من البحر، ومبالغ افتداء الأسرى، والاتاوات التي تدفعها الدول الأوروبية تحت تدابير اتفاقيات شكلية لحماية سفنها من استيلاء القراصنة، وهناك مصدر رابع كان يُحصل عليه من المؤسسة البحرية بذاتها وذلك من خلال الإذن بالإرساء.

1-الغنائم البحرية:

لقد شهدت الغنائم البحرية ازدهارا وتزايدا خلال الفترة الأولى للعهد العثماني ثم بدأت تشهد الانخفاض التدريجي خلال القرن 18م، وعقب تطور البحرية بدأت تتزايد مع نهاية العهد العثماني، وكذلك زيادة نشاطها الحربي خاصة في فترة اشتغال أوروبا بحروب الثورة الفرنسية وتوسعات نابليون، ولقد ارتبط نشاط البحرية بجهود بحارة مشهورين أمثال الرايس حميدو(1790-1815)[3].

كانت غنائم الجهاد البحري موردا للرزق ومصدرا مهما للثروة وعاملا حاسما في تنشيط الاقتصاد الجزائري، فقد كانت مهنة مربحة في نظر كثير من المؤرخين المحدثين تنال الدولة من غنائمها حصة تتراوح بين السبع والعشر[4]، وتحظى بـ12% من أسعار السفن المحتجزة، وتضع تحت تصرفها كل الأسلحة

1- المرجع نفسه، ص 50.

2- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي**، المرجع السابق، ص45.

3- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، ط1، ص209.

4 - Dan, op.cit,p83.

المصادرة في عمليات القرصنة باعتبارها غنائم حرب مشروعة، كما أنها تنال قسطا وافرا من المبالغ التي تدفع لافتداء الأسرى الأوروبيين، وفي هذا السياق فإن اسبانيا وحدها كانت تدفع سنويا ما قيمته 60 ألف قرش لافتداء أسراها البالغ عددهم ما بين 200 و300 أسير[1].

اعتمدت الدولة القرصنة البحرية وجعلته عملا منظما تحت سلطتها، فعن ضخامتها يحدثنا "هايدو" والذي أقام في الفترة ما بين:(1581-1578) بقوله: " **أن الغنائم كانت كثيرة بحيث لا يمكن إحصاؤها... حيث تصبح الأماكن مكتظة أيام الاحتفالات الدينية، ففي بعض الأحيان كان عدد الأسرى المسيحيين يتم إلقاء قُدَّاسهم خارج المدينة**[2]"، وعن أهميتها يضيف "الورتلاني" في رحلته المشهورة بقوله: "... **فلم تكفهم الأموال ولأن مادة البحر في الجزائر (يقصد الغنائم البحرية) أوسع من مادة البر وعلى تقدير وجود الأموال فقد صرفها أهلها في شهوات انفسهم كالملابس والمآكل والمشارب...**"[3].

يقول دو غرامون في كتابه: العلاقات بين فرنسا وايالة الجزائر في ق 17م أنه خلال الفترة الممتدة ما بين (1621-1613م) استولى الرياس على 936 سفينة"[4]، وقد فسرها المؤلف الأمريكي جيمس ولسن ستيفنس كالآتي: 447 سفينة هولندية، 193 فرنسية، 120 اسبانية، 60 إنجليزية، 56 ألمانية ويضيف زامور في كتابه أنه في عام 1634 ارتفعت الغنائم إلى ما يقارب 600 مركب[5].

أما الأب دان فقد ذكر في كتابه أنه في عام 1634 ارتفع عدد الغنائم إلى ما يقارب 600 مركب، وما بين (1634-1629) استحوذ الجزائريون على 80 مركبا فرنسيا، منها ما غنم في مياه المتوسط والمقدر عددها بـ: 52 مركب كبّدت هذه العملية فرنسا خسائر قدرت بـــ: 4.752.000 ليرة[6].

---

[1] - حنيفي هلايلي: **التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية** ، مرجع سابق، ص 277.

[2] - Haédoe, **Topoghraphie**, Op.cit,p88.

[3] - الحسين بن محمد الورتلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار،" الرحلة الورتلانية"**، ج2، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص686.

[4]-M.D. Gramment : **De Relations entre la France et la régence d'Alger ou xv siècle** ,1er partie ,in R .N.23 , 1879,pp9-100.

[5]- سعيدوني: دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 210 211.

[6]- Dan: Op, cit,p320.

أما المنور مروش في كتابه دراسات عن الجزائر في العهد العثماني قد أعطى دراسة هامة في هذا المجال لأنه قدم تفصيلا دقيقا أكمل فيه كل النقائص التي وردت في كتابات غيره[1].

سنوات الصعود: 1580-1644

1- قوة صاعدة: 1607-1622	
السنة	**الغنائم وأنواعها "طبيعتها"**
1625-1608	**جملة ما أخذه الاتراك والأهالي:17سفينة**
1618-1608	**جلب إلى الجزائر 251 سفينة من الغنائم و7035 أسير.**
1621-1613	**تم الاستيلاء على 936 سفينة، هذه تفاصيلها: 447 من هولندا، 193من فرنسا،56 من البلاد الألمانية، 120 من اسبانيا، 60 من إنجلترا، أكثر من 60 من مناطق بروفانس ولنغدوك الفرنسية.**
1616-1609	**مجمل ما أخذه الجزائريون 466 سفينة**
1627-1616	**في الإجمال: 216 سفينة وأعيدت لأصحابها بفعل المفاوضات من أجل السلم.**
1638-1612	**37 سفينة معظمها من السفن الضخمة (قوارس وغليونات) وأحيانا متوسطة (طرطان) قيمتها 5ملايين قرش بالإضافة إلى السلع والأسرى.**

الجدول: عائدات البحرية من 1619 إلى 1642

سنوات الغنائم القصوى:	
من ماي إلى 26 أكتوبر 1619	**25 سفينة و578 أسير. منها 12 سفينة تجارية هولاندية**
1620	**سنة استثنائية:125 سفينة أخذها الجزائريون وفي نفس السنة: 20 سفينة بلغت قيمتها 205000 أيكي وأخذت 21 سفينة.**

[1]-عطلي : مرجع سابق ص 91.

1620	قدرت مجموع الغنائم الفرنسية بـ800 ألف إيكي وعدد الاسرى 500 أسير فرنسي.
1622-1623	5 بوارج وسفن عظمى قدرت قيمتها بـ1700000 قرش وتم الاستيلاء على سفن : انجلزية وفرنسية، واسبانية وايطالية.
1625-1624	غزو قاعدة بحرية في البندقية:وتم فيه غنم حوالي نصف مليون قرش. وفي 22جوان 1624 في عملة مشتركة بين الجزائريين وقراصنة تونس قدرت غنائم هذه العملية بـ: 100 ألف إيكي 26-27 جوان: 3 سفن من راكوش" قاعدة البندقية"
1625	سفينة برتغالية عظمى وعدة سفن صيد 53 بحار ولما توغلوا في جزيرة Terreneuve نيو فلندا واستولوا على 132 من البحارة وفي طريق العودة أخذوا 9 سفن.
1626	استولت سفن الجزائر وتونس على 18 سفينة محملة فاقت قيمتها1600 قرش.

وسنتطرق أيضا إلى ما أشار إليه هلايلي في كتابه التنظيم العسكري حيث تطرق إلى تطور الغنائم منذ سنة 1793-1800م في الجدول التالي[1]:

التاريخ	عدد الغنائم	مجموع الغنائم بالفرنكات
1793	15 غنيمة	1.35.352.45
1795	8 غنائم	310.398.47
1797	22 غنيمة	1.294.269.72

[1] - حنيفي هلايلي: التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية، مرجع سابق، ص278.

1799	31 غنيمة	1.583.482.47
1808	10 غنائم	297.105.81
1812	12 غنيمة	120.136.675.36
1814	17 غنيمة	19.57.132.86
1815	8 غنائم	770.415.74

ولقد لعبت الغنائم دورا بارزا في تغطية العجز المالي للإيالة خلال السنوات(1793-1800) فلقد كانت توضع الغنائم في المخازن قرب الجزيرة بعدما يتم عدّها وتباع الغنائم في أسواق المدينة وبعض منها بأسواق الدول الأوروبية من جديد بواسطة التجار اليهود.

على كل حال، فإن القرصنة البحرية التي تمارس من طرف البحارة الجزائريين قد لعبت دورا كبيرا في إنعاش الحياة الاقتصادية لمختلف الأمم، خاصة في ظل غياب شبه كلي لموارد ثابتة تعتمد عليها الدولة، وقد كانت غنائم الغزو البحري تُدّر للقطاع التجاري موارد مختلفة من: أسرى، أموال الفدية، رسوم مفروضة على منظمات الفدية، مواد استهلاكية وتجهيزات مختلفة...الخ، ولهذا يمكن القول أن موارد الغزو البحري كانت تملئ خزائن الدولة وتساهم في استمراريتها.

2- افتداء الأسرى:

إن ظاهرة الأسر والاسترقاق، حقيقة وظاهرة تاريخية عرفتها منطقة البحر المتوسط في إطار الحروب البحرية التي استمرت من القرن السادس عشر إلى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، وقد شكل الأسر في الجزائر خلال العهد العثماني منظومة متكاملة، لا يمكن فصلها بأي شكل من الاشكال عن الوضعية السائدة آنذاك، إذ أصحبت تعبر عن الحالة الاقتصادية، وتمثل جزء من الدخل العام للدولة، لقد شكل بيع الأسرى المسيحيين قسما وافرا من مداخيل الجهاد البحري في مدينة الجزائر، وذلك خلال سعر بيعهم ومن خلال المبالغ التي تعطى بعد ذلك لافتدائهم[1]، وأصبح الأسير يسعى إلى التخلص منها في

1 - حنيفي هلايلي: **بنية الجيش**، مرجع سابق، ص64.

أسرع وقت وبأغلى الأثمان[1]، إذ يحصل الداي على الثمن 8/1 ، ويساق البقية إلى سوق البادستان، حيث يخضعون للبيع الأول عن طريق المزاد، ثم البيع الثاني عن طريق عملية الافتداء[2].

كان الأسرى الذين لا يختارهم الداي ليخدموا كحراس وخدم ولا يشتريهم الباعة ترجع ملكيتهم إلى الدولة، التي تستخدمهم في العمل في دار الصناعة بالجزائر أو ورشات بناء السفن أو في الحجارة عبر طرق الإيالة، وهذا النوع من الأسرى تخصص لهم الدولة بنايات لإقامتهم أوقات فراغهم من العمل[3].

كانت عملية افتداء الاسرى عملية صعبة ومعقدة ترتبط بطبيعة العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية، والحصول على الأموال اللازمة لذلك[4]، وقد خصصت حكومة الداي للأسرى عدد من المراكز لجمع العبيد، ولا يعودون إلى أوطانهم إلا بعد أن تدفع عنهم دولهم أو مؤسساتهم الدينية المسيحية قيمة الفدية، ومن أشهر صورها نجدها تتم عن طريق رجال الدين القساوسة، حيث ساهمت عدة تنظيمات دينية في هذه العملية، كتنظيم الثالوث المقدس[5]، وتنظيم الرحمة، إضافة إلى جمعية الماثوريين[6].

ومن جهة أخرى يوجد الافتداء عن طريق المعاهدات، فنجد القناصل هم الذين كان لهم الدور المباشر في هذه العملية لتحرير أسراهم، فكانوا يهتمون بهم حسب ما تنص عليه المعاهدات، والتي بموجبها يتم افتداء كل الأسرى أو الجزء منهم من أسرى الدول المهادنة، وذلك حسب أمكانية وأهمية كل دولة[7].

---

1 – شارل أندري جوليان: **تاريخ افريقيا الشمالية**، ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة، ج2، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس 1983، ص357.

2 – بليل رحمونة: **دور العمل البحري في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن الثامن عشر**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 2 مارس 2019، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس –الجزائر، ص 24.

3 – وليام سبنسر: مرجع السابق، ص 156.

4 – Moulay Belhamissi : **histoire de la marine Algérienne**,op.cit, p69.

5 – تنظيم الثالوث المقدس: تأسس على يد جو دو ماتا وفليكس دو فالو سنة 1198م، ينظر بلقاسم قرباش: **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات(1830–1671)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة معسكر،2016م، ص 188.

6 – نفسه، ص90.

7 – حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار هومة، الجزائر، 2010، ص ص 295-297.

أما بخصوص تعداد الأسرى شأنه شأن أحصاء عدد سكان مدينة الجزائر التي كانت من أهم أسواق الفداء في البلاد الإسلامية، فالتقديرات الرقمية المطروحة سواء بخصوص عدد سكان المدينة أو بخصوص عدد الأسرى مستخرجة من مصادر أوروبية، ومتناقضة في بعض الأحيان، ففي سنة 1578م بلغ عدد الأسرى من الفرنسيين والإيطاليين والإسبان والمالطيين قرابة 25000 أسير، وفي سنة 1635 ارتفع هذا العدد إلى 30000 أسير، كما ارتفع إلى 36000 سنة 1691م لكن مع بداية القرن 18م يلاحظ تراجع لأعداد الاسرى ضمن 10000 سنة 1700إلى 2000 سنة 1738م، ليرتفع العدد إلى 7000 سنة 1750م، ثم ليتأرجح بعد ذلك بين زيادة ضئيلة ونقصان حتى سنة 1830م، حيث تتناقض التقديرات بين 500 و120 أسير[1].

ومن أشهر هؤلاء الأسرى نذكر منهم:

- الشاعر الفرنسي رونيار، أسر عام1678.
- الكاتب الإيطالي ايمانويل ارابدا دوبروج أسر عام 1640.
- العالم الفرنسي جان فيان أسر في عام 1674.
- الكاتب الاسباني ميكال سرفانتيس، صاحب قصة دون كيشوت، أسر عام 1775إلى غاية 1780م[2].

أما عن دفتر التشريفات والذي يعتبر إحدى الوثائق الرسمية الأكثر دقة مقارنة بعديد الشهادات والمصادر الأوروبية، فقدم لنا تعداد الأسرى في فترات مختلفة منها:

إحصاءات الأسرى المسيحيين من خلال دفتر التشريفات لألبير دوفولكس

بين سنتي 1736-1759م[3]:

[1] – هلايلي: **التنظيم العسكري للبحرية**، مرجع سابق، ص 274.

[2] – هشام بوشاهد، عبد الحميد فراقة: **البحرية الجزائرية ونشاطها في البحر الأبيض المتوسط(1518–1830)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 8ماي 1945، بقالمة، 2015-2016، ص66.

[3]- Devoulx (A) : Tachrifat Recueil de Notes Historique sur L'administration de l'ancienne Régence d'Alger, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852, p86.(chapitre 6, Recensement annuel des esclave chrétiens).

السنة	عدد الاسرى	السنة	عدد الاسرى
1736م	1063	1751م	1773
1739م	569	1754م	591
1744م	739	1757م	1591
1747م	821	1759م	1753

من خلال الجدول نلاحظ أن تعداد الأسرى كان تقديري ومتذبذب ومتفاوت بدلالة السنوات.

شهدت الإيالة تحرير العديد من الأسرى عن طريق الفدية أو الهروب أو الاندماج في الحياة الاجتماعية من خلال إعلان الأسير لإسلامه فيصبح بموجبها "مرتدا"، وبالتالي خروجه من منظومة الأسرى في الإيالة، وعن ذلك يخبرنا الأب "دان" عن اعتناق حوالي 9500 أسير مسيحي الإسلام بالجزائر"[1].

وبذلك شكلّت عائدات الغنائم البحرية وخاصة تجارة الاسرى بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ثروة لأغلب الجزائريين، واعتُمدت القرصنة البحرية وجُعلت نشاطا بحريا جائزا، وكانت الدولة تقدم تراخيص لممارسة هذا النشاط باسم حاكم الجزائر، وقد تباينت خلالها العديد من الدراسات في تحديد تعداد الاسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر وخاصة خلال فترة العصر الذهبي للبحرية الجزائرية.

3- الإتاوات والهدايا والضرائب الإلزامية:

حقق الأسطول البحري مكانة دولية في حوض البحر المتوسط بسبب الهيمنة على هذا الأخير، وبسببه كانت تفرض على الدول الإتاوات التي كانت تختلف حسب العلاقة التي تربطها بالدولة الجزائرية التي كانت قد ألزمت الأمم الأوروبية المتعاملة معها تجاريا بدفع إتاوات، مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وإعطاء تجار تلك الدول امتيازات خاصة، منها تخفيضات على الرسوم الجمركية، وهذا ينفي صفة اللصوصية القرصنية أو الاعتداء على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية، والتي حاول الكتاب الأوروبيون إلصاقها بالبحارة الجزائريين ، لتبرير تحرشاتهم والتمهيد لاعتداءاتهم.

[1] -Dan, Histoire, Op. Cit, p 341.

وأهم إتاوات بعض الدول الأوروبية:

اسبانيا: كانت اسبانيا تساهم بمبلغ قيمته 96.800 فرنك، كإتاوة سنوية من أجل حماية مصالحها في الجزائر، وإقرار السلم معها، إلى جانب ما تدفعه من تجهيزات حربية للجزائر، ففي سنة 1785م أرسلت 2000 قنطار من البارود، وفي سنة 1804م زودت الجزائر بـ 9 مدافع ذات عيار 24و18 مدفعا، وفي سنة 1816م أكدت معاهدة السلم المبرمة مع الجزائر الالتزام بدفع مبلغ 250000 فرنك كل سنتين، بالإضافة على إرسال هدايا معتبرة[1].

فرنسا: كانت تدفع قبل 1790م ما قيمته 37000 جنيه، ففي شهر جوان 1790م، كانت قيمة اللزمة التي تدفعها فرنسا بـ56700 فرنك تدفع على ستة أجزاء[2]، وفي سنة 1791م قدم القنصل الفرنسي فالبير هدايا قيمتها 2000 ريال بوجو، بمناسبة تعيين الأغا والخزناجي في وظائفهم الجديدة[3].

إنجلترا: التزمت هي الأخرى بتزويد الجزائر بمعدات السفن الخاصة بالتجهيز، ففي سنة 1787م قدمت إنجلترا التجهيزات التالية: 4مدافع ذات عيار 40 رطلا، و200 برميل بارود يزن كل واحد منهم نصف قنطار، و400 قنبلة من عيار تلك المدافع[4].

السويد: فقد زودت الجزائر سنة 1802م بالعديد من المعدات منها قنطار من البارود، وقذائف ومدفعية، و230 قطعة خشبية من نوع الروبلو، و2398 قطعة خشبية لصنع البراميل، وكميات من المسامير وتجهيزات لصنع السفن[5]، كما التزمت بدفع 24000 دولار سنة 1822م[6].

الدنمارك: فقد التزم ملكها بأن يرسل إلى الجزائر سنويا 50 ألف بارود، و25 حبلا من نوع قريلين، و8آلاف قذيفة، وبمقتضى معاهدات أعوام: 1747م، و1748م، 1749م التزم كذلك بتقديم تجهيزات معتبرة، وأرسل لها 1747م مدافع هاون، لكنها كانت مخالفة للمقاسات التي طلبها

---

[1] – حنيفي هلايلي: **بنية الجيش**، المرجع السابق، ص72.

[2] – جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619–1980**، الجزائر، 1982، ص 173.

[3] –هلايلي: **التنظيم العسكري للبحرية**، مرجع سابق، ص 281.

[4] – يحي بوعزيز: **الموجز**، مرجع السابق، ص165.

5 – حنيفي هلايلي: **التنظيم العسكري للبحرية**، مرجع السابق، ص281.

6 – وليام شالر: مصدر سابق، ص60.

الداي[1]، وفي عام 1751م، تعهدت إمارة هامبورغ الألمانية بتقديم التجهيزات التالية سنويا وهي : 24ألف بارود، 100 قطعة قماش للأشرعة، و35 ألف حبل، و10 كابلات حديدية، ومثلها غير حديدية، و24 ألف رصاص و10 صواري، و30 قارية للملاحة، 800 قنبلة من أحجام مختلفة و56 ألف حبل[2].

أمريكا: بعد استقلال الولايات المتحدة الامريكية عن التاج البريطاني سنة1776م، رأت أن التقرب من إيالة الجزائر هو الوسيلة الوحيدة لضمان أمنها التجاري في الحوض المتوسطي، كانت الولايات المتحدة الامريكية تدفع للجزائر مائة ألف دولار سنة 1783م، وفي عام 1794م، وافق الداي حسن باشا أن تقدم الولايات المتحدة الامريكية ضريبة سنوية في شكل تجهيزات بحرية وأن تقدم الهدايا مرة كل سنتين ما مقداره 297.500 دولار، وبعد أن عقدت معاهدة سلم مع أمريكا سنة 1795م، التزمت الولايات المتحدة بدفع 642.500 دولار للجزائر نقدا، بالإضافة إلى ضريبة سنوية تتمثل في عتاد حربي، وتجهيزات بحرية ما يقدر قيمتها بـ21600 دولار، وفي هذا السياق قدمت الولايات المتحدة للجزائر سنة 1796م 1000 قطعة خشبية، وعددا من قذائف مدفعية، كما زودت الجزائر سنة 1801م على متن سفينة أمريكية بالتجهيزات التالية: 12 قنطار من البارود، 28 قنطار من المسمار، 29 قطعة خشبية التبطين، 130 قطعة خشبية من الروبلو، و2615 من الحجر الصغير[3].

كما نجد هدايا يقدمها قناصل الدول من غير معاهدات أو عند تنصيبهم، ومن ذلك أمثلة كثيرة حول المبالغ التي كان يدفعها قناصل فرنسا للحكومة الجزائرية خلال مراسيم تنصيبهم في مهامهم الجديدة، ففي سنة 1682م، ولكسب الجزائر إلى جانب فرنسا ضد الانجليز دُفع 15 الف ريال إلى الداي بابا حسن(1683-1682)، وهدايا لزوجته ولمحمد خوجة الذي هو شخصية الثانية في الديوان[4]، وقبل سنة 1830م نجد العائدات الاجتماعية لممثلي القنصليات الأوروبية تتوزع حسب الدول الآتية: فرنسا 806660 فرنك، وانجلترا 4000 فرنك، واسبانيا 150000فرنك،

1 - بوعزيز: المرجع السابق، ص165.

2 - نفسه، ص 166.

3 - حنيفي هلايلي: **بنية الجيش الجزائري**، المرجع السابق، ص74.

- المنور مروش: مرجع سابق، ص4.242

وهولندا 160000 فرنك، والولايات المتحدة الأمريكية 200000 فرنك والسويد والدنمارك 27750 فرنك[1].

والجدير بالملاحظة اختلاف طبيعة تقديم الهدايا من فترة إلى أخرى، ومن دولة لأخرى إذ مع ضعف بحرية الايالة تحولت الإتاوات التي تدفعها الدول الأوروبية إلى ما يشبه الهدايا الإلزامية والترضية البروتوكولية، تقدم مقابل حرية الملاحة، ونيل الاحتكارات والامتيازات التجارية[2].

ويذهب المؤرخ الأمريكي وليام سبنسر على أن الضريبة كانت مفتاح العلاقات الجزائرية الأوروبية، وان أوروبا كانت ملزمة بدفع الجزية لأنها لم تطور سياسة أمن جماعي حقيقي ضد الجزائر، فكانت الجزية مدفوعة بمثابة حماية فردية، وكانت امتياز للقوى الأوروبية الصغيرة التي تعتمد في حياتها على التجارة السلمية، وقد طبقت الجزائر في هذا المجال سياستها التقليدية تجاه أوروبا[3].

كانت إيالة الجزائر تتلقى مساعدات من الباب العالي باستمرار، ففي سنة 1784م، تلقت الجزائر مساعدات عسكرية مهداة من طرف الدولة العثمانية وتتمثل في كميات كبيرة من النحاس والخشب وأسلاك ومجاديف، وكميات معتبرة من البارود، واما في سنة 1791م قدرت المساعدات العسكرة بـمدافع من نوع طوج والهاون، ومعادن الرصاص والحديد والأسلاك بمقدار ثلاثة آلاف قنطار، وفي أواخر سنة 1819 أمر السلطان محمود الثاني بإرسال مساعدات تمثلت في المدافع والبارود والأسلاك[4]. وبالرغم من أن إيالة الجزائر كانت معروفة في عالم البحر الأبيض المتوسط بقيامها على نظام حربي دفاعي فعال بواسطة حكومة عسكرية، فإن القوة الجزائرية إنما كانت معتمدة على المؤسسات المالية.

إن دبلوماسية الاتاوات البحرية والهدايا الإلزامية، استجابت لحد بعيد للاستراتيجية الأوروبية والأمريكية بالجزائر من أجل خدمة المصالح والتقرب من العناصر النافذة في الإيالة، وما يستشف من هذا، أن العمل بمثل هذه الإجراءات بالرغم من طابعها السياسي إلا أنها أعطت لخزينة الدولة دفعا إضافيا لتعزيز الاقتصاد خاصة أثناء شح مداخيل الغنائم البحرية.

1 – هلايلي: **التنظيم العسكري للبحرية**، مرجع سابق، ص285.

2 – ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي**، مرجع سابق، ص115.

3 – وليام سبنسر: مرجع سابق ، ص141.

4 – هلايلي: **التنظيم العسكري**، مرجع سابق، ص ص 285 286.

المبحث الثالث: طبيعة العلاقات الخارجية للجزائر العثمانية

شكلت العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني، أهم مظاهر السيادة، وأبرز سمات الاستقلالية والقوة كما لا يخفى أن علاقات الجزائر ودول أوروبا، خاصة المتوسطية منها، تحكمت بها المصالح التجارية بين البلدين، وشكل النشاط البحري للجزائر، أهم الركائز الأساسية التي بلورت وحددت، مظاهر العلاقات الخارجية للجزائر، وأثرت على سير معاهدات التقارب، والتباعد بينها وبين أمم أوروبا والولايات المتحدة الامريكية والدولة العثمانية.

تشكلت أسس العلاقات الخارجية للجزائر أساسا، من مبادئ دبلوماسية عامة، أكدت الجزائر من خلالها ولاءها للدولة العثمانية من جهة، وبينت من خلالها استقلالية قرارها السياسي في كثير من الجوانب، خاصة فيما يتعلق بمعاهدات الصلح بينها وبين دول الحوض الغربي للمتوسط من جهة أخرى.

ومن المبادئ العامة التي اعتمدت عليها الجزائر في علاقتها مع هذه الدول، والتي تشكلت منها مبادئ الدستور العام لشخصية الجزائر الخارجية:

- عدم التنازل عن حقوق السيادة، والتمسك بمبدأ احترام شخصية الدولة في كل الظروف[1].
- مراعاة أسس الصداقة في التعامل مع السفراء، وتكريس مبدأ السيادة الوطنية في التعامل مع الأطراف الأوربية.
- مراعاة حرية التعاقد، وعدم الالتزام بما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات، ولم ترد أي إشارة لتبعية الجزائر للخلافة[2].
- مبدأ نبذ استعمال القوة في العلاقات الدولية، وعدم الرضوخ للقوة مهما كلف ذلك، إصرار الجزائر على وضوح معاهداتها مع دول أوروبا.
- تبني مبدأ الحياد في الصراعات الأوروبية.

---

[1] – ظلت الجزائر متمسكة بمبدأ التعامل الذي يضمن للدولة هيبتها، في نصوص المعاهدات حتى في أوقات ضعفها فبالرجوع إلى نص اتفاقية الاستسلام التي أمضاها الداي حسين مع الكونت دي بورمون في 5جويلية 1830 نجد عبارات الاحترام والتقدير، بالرغم من عدم تكافؤ القوى آنذاك بين البلدين ينظر حمدان خوجة: **كتاب المرآة**، ص ص 195-196.

وينظر: عمر سعد الله: **القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر**، دار هوية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص365.

[2] – عطلي: **نشاط البحرية**، مرجع السابق، ص 121.

- اعتماد مبدأ وحدة المغرب العربي، واحترام الجوار، والدفاع المشترك إذا لزم ذلك.
- الوفاء والالتزام بنص الاتفاقيات، مهما تغيرت الظروف خاصة ما تعلق منه بأمر السفن وشروط رسوها بالموانئ[1].
- اعتماد مبدأ المساواة بين دول أوروبا، فلا يوجد صديق مقرب أو العكس بل هي مصالح.
- مبدأ عدم مساعدة الجزائر لطرف يكون في حرب مع دولة تم التعاقد معها حتى ولو كان هذا الطرف قريبا جدا[2].

هذا ما جعل الجزائر الحديثة، أن تكون واضحة في كيفية وطرق تعاملها مع الدول المسيحية خاصة، وباعتبارها دولة بحرية وقوية، وبحكم موقعها القريب من العالم المسيحي وجدت نفسها مجبرة على تقوية أسطولها البحري للدفاع أو تكريس الدبلوماسية كعامل لتحقيق السلام.

أولا – علاقة الجزائر وإسبانيا: علاقات صراع بخلفيات تاريخية ودينية

أراد الإسبان في القرن 16 م خلق إمبراطورية مسيحية بمساعدة الكنيسة البابوية وتِّوج خلالها "شارلكان "الإسباني إمبراطورا على العالم الكاثوليكي 1519م، في المقابل حاول العثمانيون جمع المسلمين خاصة بعد دخولهم لمصر 1517م. وبذلك اتسع مجال الجزائر في البحر الأبيض المتوسط لتصبح حصنا منيعا ضد الغارات الأوروبية برا وبحرا، وقد أعقب تحطيم البنيون الإسباني مدينة الجزائر 1529م غارات بحرية واسعة قام بها البحارة الجزائريون أشهرها التي قام بها إيدين وصالح رايس ضد السواحل الإسبانية[3].

إن من أهم الأسباب التي أدت إلى تنامي الصراع بين الدولتين هو صراع ديني وتاريخي ويبدو ذلك واضحا من خلال العديد من الكتابات التي تعكس هذا الصراع في بداية الوجود العثماني بالجزائر.

وقد عرف القرن 17 تغيرا في الخريطة السياسية لأوروبا إثر تراجع الدور الإسباني في العالم المتوسطي بسبب تحول أنظارها إلى مستعمرات القارة الأمريكية، في المقابل عاشت الايالة الجزائرية نشاط

---

[1]-Raunal (G.T) : Histoire des établissements du commerce des européens dans l'Afrique septentrional, la découverte, paris 40.

2- لم تستسغ الجزائر ما بدر من السفن الفرنسية التي قدمت الدعم للإسبان والهولنديين والانجليز مستغلة بذلك معاهدة الصداقة بينها وبين الجزائر وهذا ما اعتبرته الجزائر اخلالا بمعاهداتها حيث لا يمكن تقديم مساعدة لدولة هي في حالة حرب مع الجزائر أو لا تربطها معها معاهدة صداقة. ينظر: عائشة غطاس: مرجع سابق ، ص ص 10- 15.

[3]- سمير مشوشة: مرجع سابق، ص 167.

بحري مزدهر ومتنوع أدى إلى اتساع الغارات البحرية في الحوض المتوسطي ففي سنة 1617 امتلكت الجزائر 50 سفينة وفي سنة 1625 امتلكت 80 سفينة[1].

شهد القرن 17 تراجعا كبيرا لحملات إسبانيا بعد أن كانت كثيرة جدا في القرن الذي سبقه ليشهد هذا القرن حملتين فقط فقد حاول فليب الثالث بعد وصوله إلى الحكم توجيه حملة عسكرية يوم 28 أوت 1601م بقيادة **مانويل دي بيغا** اشتركت فيها 70 سفينة و10 آلاف جندي، لكن سوء الأحوال الجوية ساهم في فشل هذه الحملة أما عن الحملة الثانية اشتركت فيها مع انجلترا وهولندا استهدفت سواحل جيجل سنة 1610 لكنها هي الأخرى فشلت[2].

لقد شكل النشاط البحري الجزائري في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 17 م أبرز قضايا استمرار الخلاف بين إيالة الجزائر وإسبانيا ليرتفع عدد المساجين الإسبان في السجون الجزائرية لتمر هذه الأخيرة بعصرين ذهبيين هما:

- العصر الذهبي الأول: 1560-1570م كان فيه البحارة الجزائريون يغيرون على السواحل الأوروبية المتوسطية وخاصة الإسبانية.
- العصر الذهبي الثاني: 1580-1620م توسعت القرصنة فيه لتشمل الغنائم البحرية والغنائم التجارية الفرنسية[3].

كما شكل الأسرى المسيحيون نسبة كبيرة من عائدات الإيالة من القرصنة خاصة في القرن 17 م لتعتبرهم الجزائر أسرى وجب دفع الفدية لتحريرهم لتدفع إسبانيا ما يعادل 60 ألف قرش لأسراها البالغ عددهم 300 أسير[4].

---

[1]- سمير مشوشة: مرجع سابق ص 168.

2 – حنيفي هلايلي: **'القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر العثمانية**، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة سيدي بلعباس ، العدد الرابع ، أبريل 2005 ، ص 247.

[3] -Braudel, **la Méditerranée**, Op. cit, T2, p 636.

[4] – امحمد بن موفقي، **العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر واسبانيا** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية 2010-2011 ص 78.

لذا تعتبر قضية افتداء الأسرى الاسبان في الجزائر من أعقد القضايا بين الطرفين، فلم يكن الإعداد لرحلة الفداء في البر الجزائري أمرا هينا في ظل حالة التوتر الغالبة على العلاقات الجزائرية الاسبانية، وكانت الخطوات الأولى للفداء تتم بعد إذن الملك الاسباني للمجموعة الدينية المتخصصة بالإعداد للرحلة[1].

مما سبق ذكره نستنتج أن العلاقة الجزائرية والإسبانية كانت قائمة على التنافر والتباعد الدائم لكن هذا لم يمنع وجود جانب إيجابي وهو تداول العملة الإسبانية في السوق الجزائرية خاصة في غرب الإيالة ولعل السبب الرئيسي في ذلك يعود إلى استمرار احتلال الإسبان للمرسى الكبير كما عرفت نهاية القرن 18 م حركة تجارية معتبرة بين الجزائر وإسبانيا أبعدت نوعا ما الصراع التاريخي بين البلدين.

ثانيا: علاقة الجزائر وفرنسا: الدبلوماسية المتضاربة والقرصنة المتبادلة

قبل الحديث عن العلاقة التي كانت قائمة بين البلدين وجب تسليط الضوء عن التقارب العثماني والفرنسي في القرن 16م

1- **الخلفيات التاريخية للعلاقات العثمانية–الفرنسية وآثارها على إيالة الجزائر:**

عندما وقع الملك الفرنسي "**فرانسوا الأول** " أسيرا لدى الملك الإسباني "**شارل الخامس**" تولى ابنه الحكم وأرسل إلى السلطان العثماني "**سليمان القانوني**" طالبا المساعدة منه لتكون سنة 1528م سنة التحالف الفرنسي العثماني وعينت فرنسا "**جون دولافوري**" كأول قنصل رسمي لها في إسطنبول[2]، وكان الهدف من هذا التحالف هو ضمان قوة إضافية للأسطول العثماني قصد التوغل لشمال غرب أوروبا فهذه الصداقة قد قسمت أوروبا وأضعفت الإسبان لتمنع حدوث أي تحالف مسيحي للقيام بحملات صليبية ضد الأقاليم العثمانية خاصة ضد الجزائر، وبعدها تقربت فرنسا من الباب العالي خلال القرن 16 م لتحصل على تسهيلات واخترقت بذلك تجارة وسياسة إيالة الجزائر[3].

1 – حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص75.

2 – سمير مشوشة: مرجع سابق، ص187.

3 – ماتيوس أندرسون، **تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا**، تعريب :نورالدين حاطوم، ط1 ، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1988م، ص 51.

2- العلاقة المتبادلة بين فرنسا والجزائر:

أنشأت فرنسا باستيون الفرنسي كمركز تجاري اهتم في ظاهره بصيد المرجان ليظهر لنا العلاقة الطيبة بين البلدين لكن في باطن الأمر كان هناك تباعد وتنافر فقد كانت الجزائر خلال القرن 17م تعيش عصرا ذهبيا لسيطرتها على الحوض الغربي المتوسط في مجال التجارة البحرية على غرار فرنسا التي لم تعرف تطورا ملحوظا رغم المبالغ المالية الطائلة التي خصصت لورشات بناء السفن البحرية مما جعل قراصنة السفن الجزائرية يعتدون على السفن الفرنسية وأخذ الأسرى الفرنسيين[1].

عرفت العلاقة الفرنسية الجزائرية تصدعا كبيرا خاصة بعد تدمير "الخضر باشا " لحصن باستيون الفرنسي سنة 1604م زد إلى ذلك عدم احترام الشركة الفرنسية للاتفاقيات التي تنص على أن يقتصر نشاطها على صيد المرجان ليتزايد نشاطها إلى شراء الحبوب بأسعار زهيدة لتصدره بمرسيليا جانية بذلك أموالا طائلة ، كما تذكر لنا الدراسات التاريخية حادثة "سايمون دانسا " البحار الذي سرق مدفعي البرونز من الإيالة الجزائرية بعد أن كان الباشا يثق فيه ثقة عمياء مما أدى إلى تصدع العلاقة بين البلدين لتعمل بعد ذلك فرنسا على تحسين العلاقة مع الجزائر لتوقع معاهدة سلم وصداقة سنة 1619م لكن العلاقة تدهورت من جديد بسبب مجزرة الوفد الجزائري بمرسيليا 1620م عندما قتل التجار الجزائريين ورموهم في البحر .بعدها تم أسر 21 سفينة فرنسية بيعت بما تحمل في أسواق الجزائر ردا على تلك المجزرة ، لكن فرنسا سعت من جديد إلى إصلاح علاقتها بالجزائر بعد دخول إنجلترا خط المنافسة معها لتوقع معاهدة سلم في 19 سبتمبر 1628 م لكن سرعان ما تم الإخلال بها عندما تم الاعتراض لسفينة جزائرية وسرقت كل حمولتها لترد عليهم الجزائر بالاستيلاء على 80 سفينة مختلفة الأحجام لكن مع دخول إنجلترا الحوض المتوسطي وإبرامها معاهدات مع الايالة الجزائرية سارعت فرنسا إلى إبعاد الأطماع الانجليزية على الجزائر[2] .

خلاصة القول أن العلاقة الفرنسية والجزائرية عرفت نوعا من التنافر والتباعد والتقارب والتصالح وتصادم المصالح، فالطرف الفرنسي عرف نوعا من الليونة السياسية تجلى ذلك في البعثات الدبلوماسية أما الطرف الجزائري فعرف بالقبول والإيجاب.

1-جون ب. وولف: **الجزائر وأوروبا**، مرجع سابق، ص ص 267-268.

2 - مرجع نفسه ، ص 269.

ثالثا: علاقة الجزائر وإنجلترا: علاقات تقارب وتباعد بخلفيات – ضغوط الباب العالي

1. الدور العثماني في تقريب وجهات النظر الجزائرية والإنجليزية

لقد بعث السلطان العثماني مراد الثالث بأول رسالة إلى الملكة إليزابيث الأولى بتاريخ 20 مارس 1579م والتي تضمنت على تقديمه لها امتيازات واسعة للإنجليز في الأقاليم العثمانية ذات طابع تجاري ، وقد رحبت الملكة بهذه الامتيازات ودعته للتدخل لتحرير الأسرى الإنجليز الذين يستغلون كعبيد ، كما توجت هذه العلاقة بتأسيس إنجلترا لشركة المشرق التي أسستها الملكة إيليزابيث الأولى سنة 1581م واستمرت إلى 1825م ، لقد كان التأثير العثماني على الإيالة الجزائرية كبير خاصة في العهود الأولى للحكم العثماني وبضغط من السلاطين العثمانيين استطاعت إنجلترا الحصول على التمثيل الدبلوماسي في الجزائر لتمارس تجارتها في البحر الأبيض المتوسط بحرية وأمان [1].

القرصنة المتبادلة في ظل تصدع العلاقات:

بعد أن تأكدت إنجلترا من أهمية المجال البحري ورغم بعدها الجغرافي منه إلا أنها قد اهتمت به بعدما لامست ما حققته إسبانيا والبرتغال من مغانم عبر غزواتهم البحرية ، فمنح الملك الإنجليزي جاك الأول الحرية لقراصنته في الهجوم على مختلف السفن في الحوض الأبيض المتوسط ، لكن رياس البحر الجزائريين كانوا يرفضون هذا الأمر مما جعل ملوك إنجلترا يضعون خططا للقضاء على الأسطول الجزائري لكنها فشلت ، ومما زاد من تصدع الصراع بين البلدين هو إبرام معاهدة صلح بين إنجلترا وإسبانيا 1604م هذه الحادثة أدت إلى زيادة الغارات الجزائرية ضد السفن الإنجليزية في البحر المتوسط والسواحل البريطانية ، ومع بداية العقد الثاني من القرن 17 أصبح أسطول البحارة الجزائري يشكل تهديدا خطيرا لحركة السفن البريطانية وسفن الدول المالية الأخرى لذلك قرر قصر "باكنهام" توجيه حملة عسكرية تأديبية ضد الأسطول الجزائري لكن قوات الباشا نجحت في صد هذه الغارة واستطاع القنصل الانجليزي لدى الباب العالي "توماس روي " من توقيع معاهدة سلام بين الدولتين ، فرغم الصراعات البحرية بين

[1] - رحمونة بليل، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 – 1830م** ، أطروحة دكتوراه إشراف دحو فغرور، قسم التاريخ، وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران ، 2010 -2011 ، ص 13 .

البلدين خلال القرن 17 م إلا أننا نلتمس طابعا تجاريا مصلحيا مشتركا بدا واضحا في نهاية القرن 17م[1].

رابعا: علاقة الجزائر بالدولة العثمانية

عرفت العلاقة بينهما بالتغيير والتطورات التي من أبرز مظاهرها هو تعيين الداي، حيث عرف النظام استقرارا من ناحية المؤسسات الادارية فأصبح الداي هو الذي بيده السلطة التنفيذية فمن صلاحياته إعلان الحرب والتوقيع على معاهدات السلم، زد على ذلك أن للداي الحق في تحديد قيمة العملة وكمية المعادن المستعملة لسكها[2].

كما برزت العلاقات الدولية الدبلوماسية بين الجزائر والدولة العثمانية في:

1-الفرمانات: والتي هي عبارة عن رسائل وتنقسم إلى همايونية والعادية والتي ينقلها الرسل من استانبول إلى الجزائر.

2-الوكلاء: أهم وكيل للجزائر يوجد في استانبول والذي يسمى ل 'قبو كتخدا ' أي وكيل الباشا لدى الباب العالي والذي من مهامه مراقبة القضايا التي تطرح على الباب العالي فينقلون للباشا في الجزائر القضايا المتعلقة بمهامهم والأخبار التي تصل إليهم من أحداث الدولة العثمانية.

3-الهدايا المتبادلة: اعتبرت تعبيرا عن الولاء واعترافا بالتبعية، كما توجه هدية إلى الباب العالي مرة كل ثلاث سنوات تعتبر هذه الهدية ذات أهمية شرفية ولا تكلف القيام بها إلا الحكومة التي تتمتع بخطورة كبيرة لديهم ، وفي المقابل كل هدية ترسلها الجزائر إلى استانبول وجب على الباب العالي ان يرسل سفينة محملة بشحنة من الذخيرة الحربية وإذنا منه بأن يجند الجنود في البلاد الخاضعة لسلطانه [3].

---

[1]-سمير مشوشة: المرجع السابق، ص187.

[2] - محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي، **إحراز المعلى والرقيب في الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب** ، محمد بوكبوط، ط1 ، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي ، 2003م ص 203

[3] - مصطفى بن حسن خوجة، **التبر المسبوك في جهاد غزاة الجزائر والملوك** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية(الحامة)، الجزائر رقم 1640. ص 3.

رابعا : علاقة الجزائر بالولايات المتحدة الامريكية:

سعت الولايات المتحدة الأمريكية للتقرب من الجزائر العثمانية مباشرة بعد إعلان وثيقة استقلالها عن بريطانيا في 04 جويلية 1776م. ودخلت مسرح العلاقات الدولية ولعبت دورًا بارزا في البحر الأبيض المتوسط، الذي كان حوضا تتنافس عليه القوى الأوربية والدولة العثمانية نظر لأهميته الجيوستراتيجية والتجارية، وقد ارتكزت العلاقات الدولية مع الجزائر على أمرين أولا توقيع معاهدات سلام مع الايالة وثانيا اعتراف هذه الدول بسيادة الجزائر على البحر الأبيض المتوسط .

أما عن تاريخ العلاقات الأمريكية بالجزائر فيعود تاريخ العلاقات الدبلوماسية الجزائرية الأمريكية إلى العهد العثماني بالجزائر ،فقبل الإعلان عن وثيقة الاستقلال الأمريكية عام 1776م، كانت السفن التجارية الأمريكية تنتقل في البحر الأبيض المتوسط آمنة من غوائل القرصنة التي هي عبارة عن كلّ اعتداء مسلح تقوم به سفينة في أعالي البحار ضد سفينة أخرى دون أن يكون من أعمال حرب قانونية، ويكون الغرض منه اغتصاب السفينة أو نهب ما عليها من البضائع أو الأشخاص، أو يكون القصد منه الإتلاف أو الانتقام من السفينة أو من الدولة التي ترفع علمها. لأنّها كانت ترفع علما بريطانيا، وتحمل جوازات من الداي، ومن غيره من حكام الإيالات الأخرى (إيالة تونس وإيالة طرابلس – ليبيا) المغرب الأقصى الذين كانت تربطهم بها معاهدات صداقة وسلام تضمن سلامة سفنها، وتكفل حرية رعاياه، كان على الكونغرس الأمريكي حماية سفنهم وتوفير الأمن لها لذا ذهبوا إلى فرنسا وأكدت لهم على ضرورة دفع ضريبة سنوية[1].

شرعت الولايات المتحدة في إيفاد مفاوضيها إلى الجزائر من أجل إيجاد حل سريع ولإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين وإنهاء الأزمة بين البلدين، وأصبحت التجارة الأمريكية في البحر المتوسط مستحيلة. وقامت حملة كبيرة في الرأي العام الأمريكي من أجل تحرير أسراهم المتواجدين في الجزائر. وبعد مفاوضات عديدة وعسيرة توصل الأمريكيون وبوساطة قنصل السويد إلى إقناع الداي حسن بضرورة عقد السلام

1 – علي تابليت: **العلاقات الجزائرية الأميركية (1776–1830)**، ج1، د.ط، موم، الجزائر، 2013، ص ص 287–292.

معهم، فجاءت أول معاهدة صداقة وسلام بين داي الجزائر والولايات المتحدة في 05 سبتمبر 1795 وكانت هذه الاتفاقية انتصارا دبلوماسيا أمريكيا، مقابل دفع ضريبة سنوية، وتقديم هدايا قنصلية[1].

وخلاصة القول: عرفت البحرية الجزائرية تطورا في هياكلها وذلك من تزايد عدد السفن سواء الحربية أو التجارية وكذلك تضخم السلاح والقوة البشرية ذات شجاعة وخبرة (رياس البحر)، مكنت فعلا الجزائر من فرض هيبتها وهيمنتها الفعلية في الحوض الغربي للمتوسط وأصحبت بذلك سيف الدولة العثمانية، فكانت ترعب الدول الأوروبية التي لم تستطع القضاء على هذه القوى وظلت راضخة لها ولقيودها، ولكن هذه الدول كانت تتحين الفرص للقضاء على الجزائر، وهذا ما حققته فعلا في بداية القرن 19م والذي سنتحدث عنه في فصلنا الموالي.

1 – المرجع نفسه، ينظر أيضا: بوحوش عمار: **التاريخ السياسي الجزائري من البداية وإلى غاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1997 م ص 96.

الفصل الثالث

عوامل تراجع الاسطول وآثاره على مكانة الجزائر العثمانية

المبحث الأول: الحملات الأوروبية على الجزائر العثمانية

المبحث الثاني: المؤتمرات الدولـــية والبـــحرية الجزائريــة

المبحث الثالث: معركة نافرين وأثرها في تحطم الأسطول

في مطلع القرن 19م، خضعت العلاقات السياسية المتوسطية إلى افرازات الثورة الفرنسية وانعكاساتها، والتي حددت إلى حد كبير طبيعة العلاقات الجزائرية مع الدول الأوروبية والتي اتسمت بطابع الهدوء والتحسن النسبي نتيجة الظروف الداخلية للدول الأوروبية، إلا أن بنهاية الحروب الأوروبية وخاصة المروع النابليوني في حدود سنة 1815م أعادت تلك الدول نظرتها للعلاقات التي تربطها بالإيالة الجزائرية ، وقد كان مؤتمر فيينا بمثابة المنبر الدولي الذي عبرت فيه الدول الأوروبية عن مكبوتاتها تجاه الإيالة الجزائرية وإعلان رغبتها في التخلص من الضغط الذي فرضته عليهم، وأجمع الحاضرون في هذا المؤتمر على ضرورة تهميش دور الإيالة الجزائرية من القضايا المتوسطية، تحت حجة أن الجزائر أحد أطراف التي اعاقت تطور وازدهار الملاحة المتوسطية، وبذلك يكون هذا المؤتمر أحد المنابر الإعلامية التي صرحت فيها أوروبا علانية عن عداوتها تجاه الجزائر[1].

المبحث الأول: الحملات الأوربية على الجزائر العثمانية

كانت الجزائر أكثر اهتماما بالأسطول الذي كان يشكل محورا أساسيا في قوتها العسكرية وجعل منها قوة بحرية من الدرجة الأولى، تكون قادرة على صدّ هجمات الأساطيل الأوروبية التي كانت كثيرا ما تتكرر على سواحلها، وشهد التاريخ على العديد من الحملات البحرية الأوروبية أواخر العهد العثماني التي انكسرت أمام السفن الجزائرية في العديد من المرات، بالرغم من أن الاسطول لم يكن في أوج قوته التي كان عليها خلال القرن 17م.

لقد عرفت البحرية الجزائرية في أواخر القرن الثامن عشر تغيرا كبيرا، حيث بدأ الاسطول الجزائري يتضاءل تدريجيا، بسبب الأضرار البليغة التي لحقت به جراء الحملات الأوروبية، لاسيما الحملات الإسبانية خلال السنوات 1775، 1783، 1784 حيث تمكنت القوات الإسبانية من تحطيم العديد من قطع الأسطول الجزائري. وسنستعرض أهم الحملات التي واجهها الاسطول الجزائري أواخر العهد العثماني في دفاعه عن الجزائر، فنذكر أهمها على النحو التالي:

[1] - مبارك شودار وصحراوي عبد القادر: **التكتل الأوروبي ضد الجزائر فيما بين 1815-1819م وتداعياته**، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، العدد 1، مارس 2018، ص124.

أ- حملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر عام 1815

تعود العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وأمريكا إلى أواخر القرن 18م، حيث وقعت الدولتان على معاهدة (5سبتمبر 1796م) احتوت على 22 مادة نصت على ان تدفع الولايات المتحدة الأمريكية ما يساوي حوالي مليون دولار، 21600 منها تدفع كإتاوات سنوية في شكل معدات بحرية، وفي المقابل تعهدت الجزائر بحماية التجارة الأمريكية في البحر المتوسط والعمل من اجل تحقيق السلام بين أمريكا من جهة وطرابلس وتونس من جهة أخرى، وإثر تطبيق هذه المعاهدة أطلقت الجزائر سراح الأسرى سنة 1796م[1].

قررت الولايات المتحدة الامريكية في العقد الثاني من القرن 19م عدم دفع الإتاوات المقرر عليها إلى الجزائر، وربما يعود ذلك لإدراكها ضعف الجزائر، وبسبب هذا القرار توترت العلاقات بين البلدين، إلى جانب الرسالة التي نقلها المبعوث الإنجليزي إلى الجزائر التي كان لها تأثير كذلك على توتر العلاقات بين البلدين، مما دفع الداي " الحاج علي" إلى طرد قنصل أمريكا من الجزائر في سنة 1812م[2]. كما كان لليهود دور في توتر العلاقة بين البلدين، حيث اقترحوا على الداي مهاجمة السفن الامريكية، لينتهي الأمر بخضوع الولايات المتحدة الامريكية للجزائر وتجديدها لمعاهدة السلم معها مقابل مبلغ مالي كبير، فاتخذت السلطات الجزائرية هذا الاجراء بناء على نصيحة اليهود الذين كانوا يتمتعون بحظوة كبيرة لدى الداي في تلك الآونة[3].

على إثر تماطل الولايات المتحدة الامريكية من حين لآخر في دفع ما هو عليها وتطبيقا لبنود المعاهدة أعلن "الداي علي" الحرب عليها[4]، حيث بلغت الازمة السياسية أوجها عندما رست في ميناء الجزائر السفينة الأمريكية، وعلى متنها العتاد البحري من الذخيرة والمستحقة كضريبة سنوية، غير أن الداي

---

[1] - صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي (1830-1514)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص217.

[2] -أرزقي شويتام: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص143.

[3] - وليام شالر: مصدر سابق، ص 141.

[4] - صالح عباد: المرجع السابق، ص218.

رفض تفريغ السفينة لشحنتها وذلك نظرا لعدم كفاية كمية البارود والكابلات التي أرسلتها الو. م. أ[1].

وبالرغم من توتر العلاقات بين البلدين، فإن الولايات المتحدة الامريكية كانت غير قادرة على شن حملة عسكرية على الجزائر او معاقبتها، وذلك لانشغالها بحروبها مع إنجلترا، وبمجرد أن وقعت معاهدة "**غنت**" في 24 ديسمبر1814م، التي انهت الحرب بين إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، حتى قرر الكونجرس الأمريكي الحرب على الجزائر[2].

وفي 7حزيران 1815م التقى الاسطول الأمريكي بالأسطول الجزائري في مضيق جبل لطارق، وكان من بين سفن الاسطول الجزائري سفينة الرايس حميدو وهي تحمل ستة واربعون مدفعا، وحدثت معركة بينهما اسفرت على استشهاد الرايس حميدو وسقوط سفينته بيد الأمريكيين[3]، كذلك اكتشف الاسطول الأمريكي سفينة جزائرية أخرى فاشتبك معها وأسرها وأرسلها إلى قرطاجنة الاسبانية، لما وصل الاسطول الأمريكي للجزائر، حاول الأمريكيون التفاوض مع الداي لكنه رفض، ولما سمع بمقتل الرايس حميدو وبمصير السفينتين، اضطر في الأخير إلى التفاوض معهم[4].

وبعد ثلاثة عشر يوم من المباحثات بين الأمريكيين والحكومة الجزائرية وقع الصلح بين الطرفين رسميا في توقيعهما معاهدة بتاريخ 7تموز 1815م[5]، ونصت بنود المعاهدة على إطلاق سراح الاسرى الأمريكيين، وإلغاء الإتاوة السنوية المقررة عليها، ودفع تعويضا للسفينة الامريكية " **ايدوين**" وغيرها من الممتلكات الامريكية بمبلغ مالي قدره عشرة آلاف دولار، وفي المقابل تعهدت الولايات المتحدة الامريكية بان ترد للجزائر السفينتين التي استولى عليها الاسطول الأمريكي من قبل، وأطلاق سراح الجزائريين[6].

---

[1] -وليام شالر: مصدر سابق، ص142.

[2] -أرزقي شويتام: مرجع سابق، ص144.

[3] -وليام شالر: مصدر سابق، ص ص141-142.

[4] -شويتام: مرجع سابق، ص144.

[5] - عزيز سامح التر: **الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، تع: عامر محمود علي، ط1، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان 1989م، ص 604.

[6] - شويتام: مرجع سابق، ص 145.

كما فرضت الو.م.أ نفسها في البحر المتوسط كقوة بحرية تضاهي وتنافس بقية الدول كبريطانيا، والحقيقة ان الاتفاقية الثانية كانت كلها امتيازات تحصلت عليها الو.م.أ بعد فرض نفسها على الداي وموافقته عليها[1].

وما يمكن للباحث فهمه أن حملة الو. م. أ على الجزائر 1815م، شجعت الدول الأوروبية لتشن هجماتها العسكرية ضد الجزائر قصد الحصول على نفس الامتيازات التي حصلت عليها الولايات المتحدة الامريكية.

ب- حملة اللورد اكسموث "Exmouth " على الجزائر 1816:

عرفت الجزائر في أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، استقرارا نوعيا، نتيجة للمعاهدات التي أبرمتها مع بعض الدول الأوروبية كإسبانيا والبرتغال والولايات المتحدة الامريكية، وعلى إثر هذه المعاهدات وإلى جانب الحروب التي اندلعت في أوروبا، عرفت الجزائر في هذه الفترة نوعا من الاستقرار مكنها من تجديد قطع اسطولها الذي وصل إلى 30 قطعة، واستطاعت في فترة قصيرة أن تسترجع جزء من قوتها[2].

وما انتهت الحروب الأوروبية، اجتمعت الدول الأوروبية في مؤتمر فينا أواخر 1814م قصد تسوية خلافاتها ومشاكلها الناجمة عن الحروب النابليونية، وإن من أهم ما تطرق إليه الحاضرون في المؤتمر قضية ما يسمونه بالقرصنة على سواحل شمال افريقيا، وخرجوا بقرار ضرورة ضرب القوة البحرية الجزائرية تحت شعار الحرب ضد القرصنة[3].

من بين أسباب حملة اللورد اكسموث هو يوم 13 ماي 1816، أنه طلب باسم حكومته وبقية الحكومات الأوروبية من الجزائر أن تطلق جميع الأسرى المسيحيين دون قيد أو شرط وألا يستعبد أي أوروبي لاحقا ووضع حد للقرصنة في البحر المتوسط (وهي الشرعية التي اكتسبتها في المؤتمرات الدولية)، وقد هدد بمهاجمة مدينة الجزائر في حالة عدم استجابته لمطالبه، وعندما عاد غاضبا لأنه لم يتلق من

---

[1] – الجيلالي شقرون: **العلاقات بين إيالة الجزائر والولايات المتحدة الامريكية خلال العهد العثماني 1776–1830م**، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، مارس 2018، ع40، ص103.

[2] – شويتام: مرجع سابق، ص146.

[3] –مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر،2012، ص262.

الداي عمر[1]، أي جواب واضح ومقنع هدد بقنبلة المدينة وإحراقها برمتها، الامر الذي جعل الداي يقوم بتحصين المدينة وتصليح 40 سفينة لحمل المدافع حيث اشرف بنفسه على هذه العمليات[2]، وفي 27 اوت 1816 عاد الانجليز وحلفائهم الهولنديون مرة أخرى في حملة بحرية عظيمة تضم اكثر من 42 قطعة حربية مزودة بمئات المدافع ، بقيادة الاميرال "اللورد اكسموث" و "باندير كايلن" بوصفهما ممثلين لدول أوروبا[3]. دارت معركة بينهما دامت 9 ساعات انهزمت فيها الجزائر وخضعت وراحت تستجدي الرحمة أمام عدوها المنتصر[4]، وفي هذا السياق يصف لنا القنصل الأمريكي وليام شالر في مذكراته على إثر نجاح الانجليز في حملتهم على الجزائر التي كانت تشكل لهم هاجس الخوف من هذه الايالة:" وفي إنجلترا اعتبرت نتيجة معركة الجزائر نصرا باهرا يخول لبريطانيا حق اعتراف جميع الدول بفضلها، وبهذه المناسبة وزعت القاب ونياشين، ومعاشات بدون حساب وبطريقة غير معهودة في المملكة، وكل ذلك في احتفالات ومهرجانات قومية، وكذلك علقت آمال كثيرة على المؤتمر الأوروبي الذي سيعقد في "اكس لاشبيل" نتيجة لنجاح حملة الجزائر[5]"

كانت النتيجة حتمية للهزيمة التي منيت بها الجزائر في هذه المعركة، وقبول الداي "عمر" شروط الإنجليز وتم توقيع اتفاقية سلام بينهم في 30 اوت من نفس السنة جاء فيها ما يلي:

- إنهاء استرقاق المسيحيين إلى الأبد.

- استرجاع أموال فدية الأسرى.

- اعتذار الجزائر للقنصل الإنجليزي[6]

وهكذا قضت الحملة الإنجليزية الهولندية على الانتعاش الذي عرفته البحرية الجزائرية مطلع القرن 19م، وبذلك فقدت الجزائر معظم اسطولها، وحرمت مصدرا اقتصاديا هاما يتمثل في افتداء الاسرى.

---

[1] -الداي عمر: دام حكمه لمدة سنتين للتوسع ينظر الزهار : مصدر سابق، ص ،ص 117-128.

[2] -عباد صالح : مرجع سابق ،ص139.

[3] -شالر: مصدر سابق، ص157.

[4] -نفسه.

[5] -نفسه، ص ص 157-158.

[6] -مبارك الميلي: مرجع سابق، ص261.

ج-حملة هاري نيال الإنجليزية على الجزائر 1824:

أوردت الكثير من الكتابات التاريخية عوامل توتر العلاقات الجزائرية الإنجليزية في الربع الأول من القرن 19م، والتي دفعت في الأخير بإنجلترا لان تجهز حملة بحرية تستهدف مدينة لجزائر، وتستند قيادتها للقائد هاري نيال، والواقع ان هذه الحملة جاءت كنتيجة لحادثة القبائل الثائرة على السلطة الجزائرية، ورفض القنصل الإنجليزي مطالب الحكومة الجزائرية تسليم الثائرين العاملين عنده، ووقوفها كعقبة في وجه معاقبة السلطة الجزائرية.

يعود سبب هذه الحملة هي أن الحكومة الجزائرية طلبت من السفارة الإنجليزية تقديم مجموعة من اللصوص الذين اختفى بعضهم في مقر السفارة بعد قيامهم بأعمال إجرامية ضد أحد السفن الامريكية التي رست في ساحل بجاية لظروف طبيعية، فامتنع السفير من تسليمهم للسلطة بحجة أنهم ممن تشملهم الحصانة الدبلوماسية ولا سبيل للدولة الجزائرية عليهم، ولكن حرس الداي اقتحم السفارة واخرج أربعة منهم وهم رؤساء الفتنة ووضع في ارجلهم الأغلال وساقهم للأعمال الشاقة في مقطع الحجر كعقاب لفعلتهم[1].

قام القناصل الأجانب المقيمين في الجزائر بعقد اجتماع في دار القنصل الأمريكي يوم 2ديسمبر 1823م، وحرروا مذكرة احتجاج ضد أعمال الحكومة الجزائرية بخصوص التدخل في شؤونها الداخلية[2]، وقد ردّ الداي حسين على هذا الاحتجاج بأن بلاده حرة في تصرفاتها مع رعاياها، كما هو شان سائر البلدان المتحضرة[3]. وبعد مداولات في هذه القضية تساهل بعض القناصل وأبدوا مرونة في مواقفهم تجاه مطالب الحكومة الجزائرية، إلا ان موقف القنصل البريطاني ماك دونال مان متشددا مقارنة بمواقف القناصل الآخرين، وامام تصلبه اضطرت الحكومة الجزائرية إلى استعمال القوة للقبض على خدم القنصليات الثائرين، مما اعتبرته بعض الكتابات أنه السبب المباشر الذي أدى إلى توتر العلاقات الجزائرية البريطانية.

---

[1] -أحمد شريف الزهار: مصدر سابق، ص151.

[2] -شالر : مصدر سابق، ص200.

[3] -حنيفي هلايلي: **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830**، دار الهدى، الجزائر، ص33.

بعد رد الداي حسين على احتجاجات القناصل الأوروبيين في فترة قصيرة وصلت البارجة الإنجليزية بقيادة القبطان سبنسر إلى الجزائر في يناير سنة 1824م، تحمل معها تعليمات الحكومة الإنجليزية إلى قنصلها بشأن أحداث أكتوبر المنصرم، وقد اشتملت التعليمات على بنود إضافية للمعاهدة التي ابرمت بين الجزائر وانجلترا بعد حملة اللورد إكسموث سنة 1816م[1]، ولكن الداي رفض التفاوض مع الانجليز واعتبر المعاهدة التي ابرمت معهم لمدة ثلاث سنوات قد انتهى أجلها، كما رفض التوقيع على البنود الإضافية بحجة أنها لا تحمل الختم الحقيقي للحكومة الإنجليزية[2].

وعند ذلك أرسل السفير الإنجليزي: "ماك دونال" إلى احد القراصنة الانجليز الاميرال هاري نيل يخبره بالقضية، وخرج هذا الأخير من مالطا بأسطول يحتوي على 23 مركبا، ولما حل بالميناء تظاهر بانه جاء مطالبا بدفع تعويضات عن الخسارة التي لحقت بالأسطول في الحملة السابقة ضد الجزائر وقنبلتها وحاصر المدينة عدة أيام 12-26جويلية 1824م[3].

ولكن الجزائريين كانوا قد اتعظوا من معركة 1816م، فخرجوا لمجابهتهم في البحر ودارت معركة بينهم في عرض البحر دون اقترابهم من البر واستمر تبادل إطلاق النار لمدة ثلاثة أيام على التوالي وفي اليوم الأخير انصرف فيه الانجليز بعد أن نفذت ذخيرتهم[4].

بعد العديد من المناوشات العسكرية التي اسفرت على خيبة أمل بريطانيا في تحقيق مطالبها وفق الحل العسكري، أذعنت للأمر الواقع وأوفدت إلى السلطات الجزائرية سفينة رفع عليها العلم الأبيض للتفاوض حول إيجاد صيغة مشتركة وحل توافقي من اجل إعادة الأمور إلى نصابها[5]، وبعد جدال طويل قبل الداي الصلح شريطة أن يستبدلوا قنصلا جديدا ويدفعوا العوائد، وبعثوا له بالقبول وأخبروه أن القنصل الجديد غير متواجد، وأنهم يقدمون رجلا يقوم مقامه على أن يحضر ويأتي معه بالعوائد، ووقع الصلح وتكاتبوا عليه وضربت المدافع، وبعد أيام قدم القنصل الجديد ومعه العوائد مثله

[1] -أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني..، مرجع سابق، ص161.

[2] -هلايلي: المرجع السابق، ص34.

[3] -هشام بوشاهد: مرجع سابق، ص138.

[4] -الميلي: مرجع سابق، ص268.

[5] -حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص 37.

مثل القناصل الآخرين[1]. وبهذه الإجراءات عقدت اتفاقية سلم بين الداي حسين وبريطانيا بتاريخ 26جويلية 1824م، وقد وافق عليها الداي حسين بعد استبدال القنصل ماك دونال[2].

تسبب الحصار البحري الذي فرضه الإنجليز على الجزائر سنة1824م إلى إحداث انعكاسات سلبية على التجارة الخارجية للإيالة الجزائرية، مما أدى بالجزائر إلى مراهنتها على خط التجارة المغاربية عن طريق البر بواسطة تونس والمغرب[3].

والجدير بالملاحظة ان ضعف البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني زاد في تكالب الدول الأوروبية عليها والتي لم تتوقف حملاتها التي اضفت لها صبغة الشرعية في عقد العديد من المؤتمرات الأوروبية (فيينا 1814-اكس لاشبيل 1881) والتي سنتطرق اليه في المبحث الموالي كغطاء لوقف اعمال ما تسميه بالقرصنة، والواضح ان الهدف الرئيسي من هذه المؤتمرات تحطيم قوة الخلافة العثمانية عامة والجزائر خاصة.

المبحث الثاني: المؤتمرات الدولية والبحرية الجزائرية

ظلت البحرية الجزائرية سيدة البحر المتوسط لأزيد من ثلاثة قرون وتمكنت من الدفاع عن السواحل الجزائرية من الهجمات الاوربية كما تم ذكره في المبحث السابق كما فرضت الإتاوات على سفن كبرى الدول الاوربية والعالمية آنذاك ما جعل هذه البحرية هاجسا يقلق الدول الأوروبية، ومع مطلع القرن التاسع عشر وبعد انتهاء اوروبا من الحروب النابليونية عقدت كبرى دولها مؤتمرات لحل مشاكل القارة واعادة ترتيب اولوياتها حسب مصالح هذه الدول فنجد البحرية الجزائرية حاضرة في جدول اعمال هذه المؤتمرات.

أولا-مؤتمر فيينا (1814- 1815):هو اجتماع عقدته الدول الأوروبية على رأسها الدول الأربعة المتحالفة: النمسا، بريطانيا، روسيا، بروسيا بعد هزيمة نابليون في معركة لايبزج اكتوبر 1813 ثم اجتياح قوات الحلفاء لباريس 4 فيفري 1814 وانزاله عن عرش فرنسا لينفي لجزيرة البا[4].

---

[1] -أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص154.

[2] -هلايلي: المرجع السابق، ص 37.

[3] -مبارك شودار: **حملة اللورد اكسموث على مدينة الجزائر 1816م وتأثيراتها الإقليمية والدولية**، رسالة ماجستير، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس الجزائر عن كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية 2014-2015، ص157.

[4] - هربرت فيشر، **تاريخ اوروبا في العصر الحديث**، تعريب احمد نجيب هاشم، وديع الضبع، ط 8، دار المعارف، مصر،1984، ص 106-107

تم اختيار فيينا عاصمة النمسا لتكون مركز عقد المؤتمر باعتبارها أكبر الدول الاوربية المتضررة من حروب نابليون ليهيمن مترنيخ المستشار النمساوي على أعمال المؤتمر مع كل من كاسلريه رئيس وزراء بريطانيا، والكسندر الاول قيصر روسيا، والامير كارل اوغست فون هاردينسبورغ امير بروسيا. اما فرنسا التي عادت لحكم اسرة آل البربون اين عين لويس الثامن عشر ملكا عليها ورغم انها الطرف الخاسر الا ان تاليران استطاع حضور المؤتمر كممثل لها[1].

كان هدف الدول المجتمعة منع عودة الثورة الفرنسية، واجتثاث فكرة أي تحرر حتى لا تتحول لثورة تضرب مصالح واراضي هذه الدول الكبرى، لهذا الحقت معظم المقاطعات التي احتلها نابليون الى بروسيا او النمسا او روسيا واحاطت فرنسا بمجموعة من المقاطعات، هكذا تم اعادة رسم الخارطة الاوربية بما يتناسب مع رؤى ومصالح الدول العظمى[2].

مع ان المؤتمر عقد لأجل اعادة ضبط السياسة الاوربية غير أنه أدرج قضية البحرية الجزائرية واظهر الساسة الاوربيون اهتماما متزايدا بالملاحة في الحوض الغربي للمتوسط ومحاربة القرصنة والرق، فكان هذا اول مؤتمر دولت فيه قضية الجهاد البحري للأسطول الجزائري[3].

كانت بريطانيا صاحبة فكرة طرح قضية القرصنة المغربية عموما والجزائرية خصوصا في المؤتمر خاصة بعد الموقف الحيادي الذي انتهجته الجزائر في الحروب الأوروبية النابليونية كما استغلت فترة الحرب لإعادة بناء ترسانتها وتجديد سفنها، فاقترحت بريطانيا فكرة تكوين رابطة بحرية أوربية موجهة ضد دول المغارب[4].

كما أن جماعة القديس يوحنا تقدمت بعريضة للمجتمعين في المؤتمر ضد قرصنة الدول المغاربية في البحر الأبيض المتوسط مطالبين باتخاذ الاجراءات اللازمة، والمطالبة بإعادة تشكيل نظامهم القديم مع

---

[1] – زايدي الحاج ، قندوز عبد السلام ، **القضية الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1518–1818**، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة ، الجزائر 2019-2020، ص36.

[2] – فيشر، المرجع السابق، ص 110.

[3] – خالد بوهند ، فاطمة بن عيسى: "**المسالة الجزائرية في المؤتمرات الدولية من خلال وثائق مركز المحفوظات الوطنية للدراسات التاريخية بالجزائر(1818–1815)**" المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، المجلد 9 ، العدد الاول ، جوان 2018، ص 56.

[4] – جمال قنان قضايا **ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1994، ص 42.

منحهم مقرا في البحر الأبيض المتوسط تجتمع فيه الاساطيل الأوربية لمحاربة قراصنة الايالات المغاربية الثلاث.

وأمام اهتمام المجتمعين بقضية القرصنة ومساندة مطالب جماعة القديس يوحنا حيث طلبت فرنسا من مالطا ارجاع الجزيرة لهم لأجل القضاء على القراصنة المسلمين، تقدم الاميرال سدني سميث بمذكرة يوضح فيها الوسائل الكفيلة للقضاء على القرصنة وتحرير الاسرى بالجزائر. وهذا من خلال تكوين قوة مسيحية مشتركة تطارد القراصنة وتحاصر السواحل المغربية لمنع خروج السفن الحربية، مع ارسال مذكرة للسلطان العثماني تحمّله مسؤولية تلك الاعمال[1].

وبهذا يكون مؤتمر فيينا اول مؤتمر تم فيه تدويل قضية البحرية الجزائرية وجعلها موضوع يشغل الراي العام لأوروبا وتجتمع له ساستها ليكون من المواضيع الاساسية للمؤتمرات الدولية التي ستعقدها.

ثانيا : مؤتمر لندن 1816م .

بعد التوصيات التي خرج بها مشاركو مؤتمر فيينا حول بحرية ايالات المغرب ورغم عدم اتخاذ قرارات حاسمة لأجل ايقاف القرصنة في البحر المتوسط، الا ان انجلترا استغلت الظرف لأجل تشكيل تحالف مسيحي بحري ضد هذه الايالات ووجهت دعوة للدول المعنية لحضور مؤتمر لندن في 28 جويلية 1816م[2].

تقدم رئيس الوزراء الانجليزي كاسليريه بجملة من المقترحات لقناصل الدول المجتمعة جلها تصب في ضرورة تشكيل قوة بحرية أوربية تتصدى لبحرية الدول المغاربية، أين توضع هذه القوة تحت إشراف مجلس أوربي على غرار القوات الأوربية التي تتمركز في فرنسا ويكون مدة الحلف سبع سنوات[3].

غير ان فرنسا برئاسة رئيس الوزراء الفرنسي روشيليو رفضت مقترحات كاسليريه في رسالة أفادت فيها ان إيالات بلاد المغرب تحترم فرنسا وأي خطر يصيبها سينعكس سلبيا على التجارة الفرنسية في الشرق،

[1] – زايدي، قندوز، المرجع السابق، ص ص 41-42.

[2] – نفسه، ص42.

[3] –خالد بوهندة : المرجع السابق، ص 60.

ومعروف ان موقف فرنسا هذا كان لأجل قطع الطريق امام اي مشروع بريطاني لاحتلال هذه الايالات التي كانت ترى فيها فرنسا مشروع توسع لها[1].

نفس الموقف تبنته دول أوروبية عديدة وكل حسب مصلحته؛ اذ نجد روسيا تعترض على مقترحات كاسليريه بعد ان تجلت نوايا بريطانيا في الممتلكات العثمانية الشرقية خاصة خليج البصرة، وارتأت أن تقوم الدول الاوربية بإخطار الباب العالي بالتشديد على هذه الايالات احترام الاعلام الاوربية.

بينما ربطت اسبانيا مشكلة القرصنة المغاربية بالثورات المندلعة في أمريكا الجنوبية والتي تساندها بريطانيا واعتبر أن كلا الأمرين يحتاجان استئصال، أما النمسا فكان موقفها سلبي باعتبار أنها حليفة السلطان وبالتالي فسفنها لا تتعرض لأي مضايقات من السفن المغربية[2].

وأمام تضارب مواقف الدول الاوربية في هذا المؤتمر وعدم وصولهم لرؤى موحدة وقرارات حاسمة أعلن روشيليو أن نيابات المغرب ومنها الجزائر ولايات تابعة للسلطان لا تمتلك حق اعلان الحرب او توقيع السلم وعلى الدول الاوروبية ان تكتفي بتفتيش السفن وحجز المسلحة منها وتوكل هذه المهمة للدول الاوربية المطلة على المتوسط وبهذا يكون قد قطع الطريق على انجلترا للتدخل في شؤون الايالات المغاربية[3].

ثالثا : مؤتمر اكس لاشابيل 1818م.

عاودت الدول الاوربية طرح مسألة القرصنة المغاربية في ثالث مؤتمر أوروبي يعقد لأجل تسوية الاوضاع الأوروبية والقضايا الدولية، تم عقده في جنوب ألمانيا بطلب من ريشيليو وزير الخارجية الفرنسية والذي طالب بإعادة فرنسا لمصاف القوى الاوربية الفاعلة في المحافل الدولية خاصة بعد ان التزمت بكل القرارات التي جاءت في مؤتمر فيينا كما سددت ما عليها من تعويضات[4].

[1] -زايدي، قندوز: المرجع السابق، ص 44.

[2] - المرجع نفسه، ص45.

[3] - بوهند ، بن عيسى : المرجع السابق ص، 65.

[4] -نفسه، ص 66.

شارك في المؤتمر دول الحلف المقدس(روسيا، بروسيا، النمسا) وبريطانيا الى جانب فرنسا وتم تدارس العلاقات التي يجب ان تكون بين هذه الدول والتي تضمن لفرنسا المكانة الملائمة في النظام الاوربي ما ينعكس في تعزيز الهدوء والسلام العام[1].

اما قضية القرصنة فقد تناولها المؤتمرون خاصة وان مؤتمر لندن لم يخرج باي نتيجة حاسمة ، في حين نجد ان الجزائر جددت بحريتها واستعادت نشاطها، فاتفقت الدول الخمس على بروتوكول 20 نوفمبر 1818م والذي نص على ضرورة النظر في مقترحات الغاء القرصنة التي تمارسها النيابات البربرية (المغربية) بطريقة حاسمة وفعالة.

كما طلبوا الى مندوبي بريطانيا وفرنسا باعتبارهما أكثر الدول لها نفوذ وثقل لدى هذه الايالات المغربية التي اصبحت خطر يهدد التجارة الدولية، والذي سيضع هذه الدول تحت طائل القوة ان لم تتراجع عن نشاطها. مع حق هذه الدول تحذير الباب العالي بصورة ودية من الاخطار التي ستتعرض لها الايالات المغربية في حال قيام الدول الاوربية باتخاذ اجراءات حاسمة[2].

كان مؤتمر اكس لاشابيل آخر مؤتمر دولي ناقش مسألة الجهاد البحري، وبعد هذه السلسلة من المؤتمرات الأوروبية التي درست وتناولت قضية القرصنة المغاربية عموما والجزائرية خصوصا اتخذت الدول الأوروبية عدة إجراءات ضدها.

رابعا: انعكاسات قرارات المؤتمرات الاوربية على البحرية الجزائرية:

كان لهذه المؤتمرات انعكاسات سلبية على الجزائر وبحريتها اين انتهت ردود افعال الاوربيين المنجرة عن قرارتها حيث شنت الدول الاوربية عدة هجمات على مدينة الجزائر انتهت بإضعاف الجزائر ومن ثمة احتلالها عام 1830م.

[1] – فيشر : المرجع السابق، ص 119.

[2] – جخدان بوعبد الله ، "المسالة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814-1818، مؤتمر اكس لاشابيل 1818"، مجلة عصور، العدد 34-35، افريل-جوان 2017، ص396.

في مؤتمر فيينا ونظرا للتطورات التي حصلت برجوع نابليون من منفاه وحكم المئة يوم لم يتمكن المجتمعون من الخروج بقرارات حاسمة ولا تبليغها للطرف الاخر مع هذا وصل لمسامعهم الحملة الامريكية على مدينة الجزائر.

أ/الحملة الامريكية 1815م : وما نتج عنها من خسائر خاصة فقدان الجزائر أحد أبرز وأقوى رياس البحر وهو الرايس حميدو وتحطم الاسطول مع اسر سفينتين؛ أكدّ لنا شالر قنصل امريكا في الجزائر أن الحملة لم تكن تحمل اي نوايا عدائية الا ان قوة البحرية والشخصية الجزائرية جعلت الحكومة الامريكية ترفق مطالبها بقوة حربية حتى تضغط على الداي لقبول مطالبها والجلوس على طاولة المفاوضات اين كلف القنصل بترأسها والوصول في النهاية الى معاهدة صلح[1]؛ والتي انتهت بالتفاوض مع الأمريكيين بقبول كل شروط المعاهدة التي ذكرناها آنفا، ومن خلال هذا يتضح لنا أن تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية فإننا ندرجها في ثلاث معاهدات أساسية ساهمت في اضعاف وتراجع دور الاسطول البحرية الجزائري وتحطمه مما اسفر في النهاية باحتلال الجزائر سنة 1830م[2].

–ب/ الحملة الإنجليزية الهولندية على الجزائر 1816: وما ترتب عنها من نتائج خطيرة تمثلت في الخسائر المادية والبشرية من جراء القصف الذي عرض المدينة للهدم وإحراق الاسطول كما لا ننسى نتائج هذه الحملة على النشاط البحري منذ مطلع القرن 19م، فبتحرير الاسرى المسحيين دون فدية، ضيع على الجزائر فرصة انتعاش الخزينة، والملاحظ أن الحملة الإنجليزية الهولندية لعام 1816قد ساهمت بإنهاء الحكم العثماني في الجزائر[3].

-ج/موقف الجزائر من قرارات مؤتمر اكس لاشابيل:

كان مؤتمر اكس لاشابيل آخر مؤتمر اوربي ناقش مسالة القرصنة وأصدر بروتوكول واضح بإلغاء القرصنة المغربية ووضع لأجل ذلك اسطولين سنة 1819م واحد انكليزي بقيادة توماس فريانتل والثاني فرنسي بقيادة جوريان دي لاغرافييه وتوجها مباشرة للجزائر لمقابلة الداي وتم ذلك في لقاءين.

---

[1]– وليام شالر: مصدر سابق، ص170.

[2] – حنيفي هلايلي: الوفاق الأوروبي وانعكاساته على إيالة الجزائر، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13–14، ديسمبر 2016،ص23.

[3] – نفسه ص ص 29–30.

اللقاء الاول تم يوم 5 سبتمبر 1819م مرفقين بقنصلي دولتيهما وبضابطي اركانهما، اخذ المبعوث الفرنسي الكلمة ليقدم للداي مذكرة عن قرارات المؤتمر وطلب من الداي ان يكون رده كتابة غير ان الداي رفض الرد لان الجزائر في سلم مع جميع الدول الاوربية. غير ان المبعوثان طلبا ضمانات مستقبلية بعدم تعرض الجزائر للسفن الاوربية للحفاظ على امن السفن والتجارة الدولية فطلب الداي حسين امهاله وقتا لدراسة الامر.

أما اللقاء الثاني فكان يوم 9 سبتمبر 1819 اين أعاد المبعوثان طلبيهما بضرورة تقديم الداي مذكرة مكتوبة وموقعة من طرفه، الا أن الداي بقي متمسكا بقراره ورأى أن مطالب الدول الاوروبية تدخلا في سيادة الجزائر فتفتيش السفن واستخدام القوة ضد الاطراف المعتدية قرار يخص الجزائر وحدها، وعلى الدول الاوربية الاستمرار في دفع الإتاوات[1].

وقد نتج عن ذلك محاولة كل دولة على حدى فرض حصار على الجزائريين معارضة بقية الدول الاوربية كما فعلت بريطانيا عام 1824م، ثم حصار فرنسا عام 1827م ما اضعف بحريتها وانتهى باحتلالها عام 1830م[2].

المبحث الثالث: معركة نافرين وأثرها في تحطم الأسطول الجزائري

يمكن أن ندرج الأحداث التي تسببت في اندلاع معركة نافرين في حلقة الصراع بين الدولة العثمانية من جهة وبين الدول الأوروبية من جهة أخرى لاسيما انجلترا وفرنسا والنمسا.

لقد زادت حدة هذا الصراع بضعف الدولة العثمانية وتراجع قوتها العسكرية، وانكماشها الاقتصادي وجمودها على المستوى الثقافي والاجتماعي، فضلا عن الضغط الروسي بالبلقان على الممتلكات العثمانية وتحول الامتيازات الفرنسية والإنجليزية خلال هذه المرحلة من الزمن إلى حقوق تاريخية مكتسبة في الممتلكات العثمانية وأصبح مصير اقتسام ذلك الإرث بالبلقان وحوض المتوسط مسألة وقت، وقد عرفت هذه القضية بالمسألة الشرقية وكانت معركة نافرين إحدى حلقاتها المأساوية[3].

[1] – جخدان: المرجع السابق، ص ص 397-399.

[2] – بوهند: المرجع السابق، ص68.

[3] –حليم سرحان: المرجع السابق، ص182.

فروسيا كانت تسعى إلى تحقيق مكاسب على حساب الدولة العثمانية والسيطرة على أهم المناطق الاستراتيجية والمضائق البحرية " البوسفور والدردنيل"، معتمدة في ذلك على إثارة الفتن بين الرعايا العثمانيين بالبلقان وقد نجم عن هذه السياسة ثلاثة حروب متتالية انتهت بهزيمة البحرية العثمانية فتراجعت قوتها أمام القوة البحرية الروسية التي استخدمت أساليب حربية متطورة.

أما بريطانيا فقد ظلت لفترة طويلة تهتم بالمحافظة على الدولة العثمانية لحماية مصالحها وعملت كل ما بوسعها لتصدي الدول الأوروبية المنافسة لها على المناطق الاستراتيجية، فعارضت سيطرة روسيا على المضائق، لكن سرعان ما غيرت وجهتها إلى المسألة الشرقية وقضية اليونان حيث نادت بدولة يونانية مستقلة ذاتيا تحت سيادة السلطان وتشمل جزيرة المورة[1].

كما ان فرنسا دفعتها مجموعة من العوامل إلى الاهتمام بقضايا الدولة العثمانية خاصة أوضاع الرعايا المسيحيين ومصير الثوار اليونان وقد تمثلت هذه العوامل في الامتيازات الاقتصادية والثقافية والدينية التي كانت تتمتع بها خلال عهد السلطان سليمان القانوني وأطماع نابليون التوسعية الذي حول أنظار الدول الأوروبية إلى أهمية المضائق وكذلك السياسة التعاونية التي انتهجتها محمد علي مع فرنسا، كل هذه العوامل كان لها دور في جلب اهتمام الرأي العام الفرنسي بقضايا الدولة العثمانية[2].

وقد نجم عن هذه السياسة ثلاثة حروب متتالية، فالحرب الأولى (1774-1786) انتهت بتوقيع معاهدة كوتشوك قينارجي والتي أسفرت عن توسيع النفوذ الروسي في المناطق المحاذية لسواحل البحر الأبيض المتوسط والحرب الثانية (1788-1792) أدت إلى فرض الصلح جاس الذي سمح لكاترين الثانية بإحكام قبضتها على سواحل البحر الأسود، وبذلك فقدت الدولة العثمانية حقوقها في شبه جزيرة القرم[3].اما الحرب الثالثة (1827-1829) التي تندرج ضمن أحداثها معركة نافرين التي أدت بدورها إلى توقيع معاهدة أدرنة الشهيرة في (14 سبتمبر 1829م)[4].

---

[1] -ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 110.

[2] -ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص365.

[3] - نفسه، ص 311.

[4] -نفسه، ص312.

كانت مشاركة البحرية الجزائرية حاضرة في كل حدث يقع في حوض البحر المتوسط، ومن بين المعارك المهمة التي كانت للجزائر مساهمة مباشرة فيها ولو بعدد قليل من السفن والجنود معركة نافرين التي أدت إلى نتائج بالغة الخطورة على التطورات التي شهدتها منطقة البحر الأبيض المتوسط.

لقد لعب الاسطول البحري الجزائري دورا فعالا في حروب الدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية، نتيجة للروابط الوطيدة بين الدولتين وهذا في إطار استقلالية الإيالة الجزائرية في تسيير شؤونها[1].

وبالرغم من بعد المسافة بين الجزائر وإسطنبول وما يترتب عن ذلك من أخطار عند نقل القوات البحرية إلى الحوض الشرقي للمتوسط، ورغم الظروف الداخلية الصعبة واصلت الجزائر دعمها للباب العالي حتى العقد الثالث من القرن 19م، والذي سبق بقليل فرض فرنسا الحصار البحري على الجزائر عام 1827[2].

بادر الداي حسين باشا بإرسال ستة سفن مسلحة تحت قيادة القبطان مصطفى رايس، انطلقت السفن من الجزائر في الرابع من رمضان ووصلت سالمة إلى ميناء اليونان بعد 18 يوما والتحقت بالأسطول العثماني التي تولى قيادته مختار باي وساهمت في حصار قلعة نافرين التي كانت آنذاك تحت سيطرة اليونانيين، كما شاركت السفن المصرية في نقل الجنود والعتاد من الإسكندرية إلى سواحل اليونان، وقد استمرت مهمة السفن بالمياه اليونانية سنتين وشهرين (1827-1825) خاضت خلالها معارك بحرية عديدة ضد سفن الثوار اليونان[3].

لقد كانت معركة نافرين سنة 1827م تعبيرا واضحا لقوة العلاقات الجزائرية العثمانية من خلال مشاركة الجزائر بكامل أسطولها البحري تقريبا في تلك المعركة إلى جانب القوة البحرية العثمانية السلطانية ضد مختلف القوى الأوروبية المتحالفة ضدها وكانت المعارك المهمة بالبحر المتوسط عامة والاقطار العثمانية والجزائرية خاصة[4].

---

[1] -جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1830-1619)**، المرجع السابق، ص 243.

[2] -أحمد الجزائري: **كيف دخل الفرنسيون الجزائر**، نشر وتقديم صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت 1962، ص ص 8-9.

[3] -سعيدوني: مرجع السابق، ص316.

[4] -نفسه، ص 318.

وذلك أن الجزائر آنذاك كانت معرضة للخطر الأوروبي وفي أمس الحاجة إلى كامل قوتها البحرية بجانب الاسطول العثماني المصري.

إن دور الاسطول الجزائري كان كبيرا في توطيد العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية خاصة في أوقات الحرب وهو السبب الذي أدى في الأخير إلى تحطمه في معركة نافرين سنة 1827م والتي كانت نقطة تحول في القوة البحرية[1].

لقد شهدت مشاركة الجزائر في معركة نافرين بستة سفن منها غليوطتان مسلحتان ب28مدفعا، وكرفاطة مجهزة ب32 مدفعا، وقطعتان من نوع البريك مزودتين ب38 مدفعا، وقد كان لهذه السفن شرف المشاركة في الجهاد الإسلامي تحت راية الدولة العثمانية، وقد انتهى امرها إلى التدمير في معركة نافرين، فلم تنج منها سوى سفينتان توجهتا إلى الإسكندرية بعد ان تعذر رجوعهما إلى الجزائر بسبب الحصار البحري الفرنسي الذي فرض على السواحل الجزائرية منذ 16جوان1826م، وبقيتا هناك إلى سنة 1830، ولم يعد يعرف عنهما شيء بعد هذا التاريخ[2].

يمكن القول إن البحرية الجزائرية كان لها دور فعال في القضايا الإقليمية، وخاصة لما يتعلق بمساندة الخلافة العثمانية في حروبها ضد الحملات الأوروبية الموجهة ضدها، كما كانت الدولة الجزائرية كثيرا ما تتكبد في هذه الحروب خسائر مادية وبشرية تؤثر على تكوين اسطولها الذي كانت دائما بحاجة إليه بحكم موقعها الجغرافي والظروف الدولية القائمة حينئذ.

تعد معركة نافرين واحدة من المعارك البحرية التي غيرت مجرى التاريخ وغيرت مواقع الكثير من القوى المعروفة آنذاك، كانت خلاصتها هو الانهزام الذي وقع لأكبر الاساطيل البحرية، وهو تحطم الاسطول العثماني، كذلك الاسطول المصري والجزائري الذي وجه غالبية قطعه الحربية، لمساندة الاسطول العثماني ضد القوى البريطانية الفرنسية الروسية، في معركة بحرية في غاية الشراسة، وكل الهجمات تركزت على الأسطول الجزائري الذي تحطم بالكامل.

[1] –وليام سبنسر: المرجع السابق، ص89.

[2] – سعيدوني ،المرجع السابق، ص 321.

ترتب بعد المعركة ضعف عسكري جزائري في البحر فاتحا الباب أمام الهجومات المعادية، والاطماع الأوروبية التوسعية، مما شجع شارل العاشر ملك فرنسا على فرض حصار بحري والذي انتهى باحتلال الجزائر في 1830م بعد ثلاث سنوات من معركة نافرين.

حقيقة مشاركة الجزائر في معركة نافرين:

اما فيما يخص المساهمة الجزائرية في هذه المعركة، فقد اختلفت الآراء حولها، وهذا ما سنحاول توضيحه من الكتابات التاريخية التي تطرقت لهذا الموضوع، والتي لم توفر المعلومات الكافية حول مشاركة السفن الجزائرية في معركة نافرين، حيث أكدت معظم الدراسات هذه المشاركة دون تفصيل ووصف لها، سواء من حيث عدد السفن وانواعها، وكذلك تاريخ خروجها، لذلك تباينت كتابات الباحثين حول هذه النقطة بين مؤكد لهذه المشاركة وناف لها.

فحسب مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، التي تعتبر مصدرا لتلك الفترة والتي جاء فيها ذكر معركة نافرين لكن لم يشر فيها إلى وجود أي سفينة جزائرية مشاركة فيها، حيث ذكر الزهار: " أن اساطيل الدول الأوروبية قد حصرت الاسطول العثماني والمصري بمرسى نافرين، أما الاسطول الجزائري الذي كان مؤلفا من ثمانية سفن لم يتمكن من الالتحاق بالمعركة، نظار لنشوبها فجأة وبذلك بقي محتجزا في المراسي الشرقية بعيدا عن معركة اليونان وعن الجزائر"[1].

ويؤكد أحد الباحثين، وهو عمار جحيدر، في مقال بعنوان "البحرية الليبية وحرب اليونان" وجود الاسطول المصري والتونسي إلى جانب الاسطول العثماني في معركة نافرين وغياب الاسطول الطرابلسي، في حين لم يذكر أي معلومة عن تواجد الاسطول الجزائري في المعركة، وذلك لغياب الدلائل التي تشير إلى ذلك حسب رأيه، حيث استند إلى كتابات شريف الزهار التي لم تذكر المشاركة بوضوح[2].

أما مساهمة الجزائر في المعركة في رأي الباحث خليفة حماش، فقد امتدت إلى غاية جوان 1826، ثم بعد ذلك تعذر على الداي حسين ارسال سفنه وفضل إبقائه في ميناء الجزائر، نظرا للظروف الاستثنائية التي كانت تمر بها البلاد والتي تميزت بفرض الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية منذ تاريخ

1 – الزهار: المصدر السابق، ص 203.

2 – عمار جحيدر: **البحرية الليبية وحرب اليونان (1828–1821)**، مجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 1–2، 1990، ص 244.

16 جوان 1827، وعليه فإن هذا الباحث يؤكد عدم مساهمة الاسطول البحري الجزائري في معركة نافرين رغم إلحاح الباب العالي على الجزائر من أجل ارسال سفنها إلى بحر إيجه[1].

كما يمكن استخلاص حقيقة هذه المشاركة من الوثائق العثمانية المتمثلة في المراسلات بين الداي حسين باشا ووكلائه، حيث لم تورد هذه المراسلات التي كانت عبارة عن تقارير تصف ظروف واخبار المعركة، ومن خلال تصفحنا لهذه المراسلات رأينا انها تؤكد المشاركة الجزائرية إلى جانب الدولة العثمانية في حربها ضد اليونانيين في المرحلة الأولى من 1821 إلى 1824م، وفي المرحلة الثانية منذ 1825 إلى 1826.

اما فيما يخص المشاركة الجزائرية في المرحلة الأخيرة من الحرب، فلم يرد ذكرها في أية وثيقة، كما توجد بعض الدلائل التي تنفي هذه المشاركة، ففي إحدى الرسائل التي بعث بها أحد المسؤولين في الجزائر إلى الحاج خليل افندي مفتي الجزائر في أزمير، والتي كانت مفادها إطلاع حكومة الداي حسين الباب العالي بتلك التحرشات الفرنسية على الجزائر، والتي أرادت أن تفرض على الدولة الجزائرية شروطا قاسية لم يكن بمقدور الجزائريين تحملها، تخص الباستيون وحق صيد المرجان، وقد أبدى الجزائريون استعداداهم للتصدي للفرنسيين، كما ذكر صاحب الرسالة، أنه تعذر على الجزائر ارسال سفنها للمشاركة في الحرب مع الاسطول العثماني ، وغالب الظن انه كان يقصد المرحلة الأخيرة من الحرب العثمانية اليونانية والتي تندرج ضمنها معركة نافرين[2].

وفي الأخير نستخلص أن للتكتل الأوروبي ضد الجزائر بالغ الأثر على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي، إذ لاحت في الأفق بوادر انهيار الحكم العثماني في الجزائر وذلك نتيجة اشتداد موجة الحملات العسكرية والبعثات التهديدية التي استهدفت الجائر عقب سنة 1815م، والتي كان أبرزها حملة اللورد إكسموث التي كسرت جناح البحرية الجزائرية سنة 1816م، وبهذا

1- خليفة حماش: **الجزائر والحرب العثمانية اليونانية (1821-1827)**، المجلة التاريخية المغربية، العدد 65-66، 1992، ص ص 184-185.

2 - حكيمة حدون و خديجة بن رنجة: **مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات حرب اليونان نموذجا 1821-1829**، مذكرة ماستر ، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، 2015-2016، ص ص 98-100.

الانكسار بدأ العد العكسي للإيالة الجزائرية نحو التقهقر والفشل، ومما زاد الأوضاع سوءً حيثيات معركة نافرين 1827م والتي أعلنت انهيار الاسطول الجزائري، وفي ظل هذه الظروف الحرجة وجدت الجزائر نفسها تتخبط في مشاكل سياسية واقتصادية والاجتماعية لعل ابرزها التنافس الفرنسي الإنجليزي عليها ، رغم المحاولات التي بذلت من طرف الدايات المتأخرين لتجاوز مرحلة الخطر إلا أنها باءت بالفشل جاءت متأخرة.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع الأسطول البحري الجزائري خلال العهد العثماني توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات والنتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

- شكل البحر الأبيض المتوسط نقطة صراع بين شعوب الضفتين أين كانت كل شعوب الحوض الغربي للمتوسط الملامسة لسواحله تطمح للاستقرار والعيش على المناطق المتاخمة له والاستفادة منه خاصة الأهمية التجارية والجغرافية.
- وإلى جانب هذا كان الحوض المتوسطي منطقة صراع ديني بين الإسلام والنصرانية، فقد أظهرت الكنيسة تأثيراتها المعنوية والمادية في توجيه موازين القوى، بالإضافة إلى اكتشاف أهمية الطرق البحرية ذات الأبعاد الاستراتيجية، باعتبار البحر المتوسط ذو أهمية حضارية وتجارية منذ القدم.
- أنّ العدوان الاسباني على الجزائر جاء نتيجة للتحولات التي شهدتها اسبانيا منذ توحيدها للقضاء على الوجود الاسلامي وهو ما نتج عنه الانتقال إلى الضفة الجنوبية للمتوسط للاستمرار في ذلك بدوافع دينية، سياسية، واقتصادية، حيث ساعدهم في ذلك التفكك وتردي الأوضاع للمنطقة في جميع مجالات الحياة.
- انضمام الجزائر للدولة العثمانية كان حتمية تاريخية نظرا للظروف التي كانت تمر بها وساعد هذا في توحيد المنطقة تحت كيان سياسي موحد وهو الذي لم تشهده المنطقة من قبل وفق نظام الدولة الحديثة.
- الظروف التاريخية التي كانت سببا في رفع لواء الجهاد وبروز البحرية الجزائرية ودورها في الجهاد البحري نظرا للمجابهة وكثرة الصدامات والحروب ساهم في إعطاء نظرة للمصادر المحلية حول تغطيتها وسردها للأحداث التاريخية ووصفها للحروب حيث تقاطعت فيها آراء العلماء والأدباء حول دور العثمانيين في الجهاد واجتهادهم وبطولاتهم في تحرير الثغور وشجاعتهم في التصدّي للحملات الأوروبية مما ساعد في التعرف على نظرتهم للوجود العثماني في المنطقة، وتفاعل القوى المحلية معهم ودورهم في تنظيم الدولة وأعمالهم فيها.
- كان للإخوة بربروس الفضل في نشأة الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني الذي بدأ بظهور الإخوة بربروس في الجزائر وزاد تطوره بفضل الإنجازات الكبيرة التي قام بها الإخوة.

- رغم التقليدية التي تميّز بها الأسطول الجزائري مقارنة بالأساطيل الأوروبية مع بداية العهد العثماني، إلا أنه استطاع الدخول إلى العالم المتوسطي وفرض فيه مكانته وهيبته الدولية وهذا كله بفضل اهتمام أغلب حكام الإيالة طيلة العهد العثماني بدُور الصناعة.
- وقد عرفت صناعة السفن في الجزائر منعرجا حاسما وذلك حين تم ادخال تقنية الهياكل المستديرة الصلبة إلى دار الصناعة الجزائرية الأمر الذي ساعد البحرية على المساهمة في إجلاء الأندلسيين المطرودين، ومن خلال المصادر اتضح لنا أن السفن الجزائرية أصبحت نموذجا مستقلا بذاته وذا تقنية مميزة ومتطورة، ومعروفة لدى البعيد والقريب.
- بلغت صناعة السفن الحربية أوج تطورها سنة 1766م حيث تم إنشاء 500 سفينة من نوع النجور، في فترة وجيزة لا تتعدى سنة كاملة، كما نشطت حركة إصلاح السفن وصيانتها وإعادة إخضاع القطع المغنومة في الغزو إلى إصلاحات وتغييرات تلائم المقاييس الجزائرية في ميدان صناعة السفن.

- تطور عمليات الغزو البحري ونشاطه بالحوض المتوسطي إثر عوامل مساعدة في ازدهار القوة البحرية خاصة خلال القرن 17م، نستهلها بخبرة الأتراك كونهم أمة بحرية، ونضيف العامل الذي تحدثنا عنه سابقا وهو البحر المتوسط ودور الأندلسيين وخبرتهم في صناعة السفن والتجارة، وهذا ما جعل القوة البحرية تتطور وتزدهر.
- عرفت البحرية تطورا من النصف الثاني للقرن 16م إلى النصف الأول من القرن 17م، وعرفت غنائم البحر مراحل اختلفت عائداتها من مرحلة إلى أخرى، تمثلت في المراكب وما تحتويه وكذلك الأسرى، وهذه الأخيرة أصبحت في المتوسط آفة عالمية والتي كانت ترتفع وتتراجع ولكن تراجعها خلال النصف الثاني من القرن 17م، جعلها تزيد من ثمن الافتداء لتعويض نقص مداخيل الإيالة.
- عرفت العلاقات الجزائرية الخارجية مدا وجزرا وتراوحت بين المصلحية والعدائية، وقد شكل التقارب الجزائري المصلحي-الاقتصادي والسياسي خاصة مع فرنسا وانجلترا داخل المنظومة المتوسطية، دفعا قويا لإعلان اسبانيا آفقا جديدة في علاقتها مع إيالة الجزائر.
- شهدت الايالة الجزائرية في الفترة الأخيرة من العهد العثماني تحولا خطيرا شمل جميع قطاعات الحياة، حيث تظافرت عدة عوامل أسهمت في ضعف البحرية الجزائرية، من أهمها الحملات الأوروبية المتكررة التي كانت سببا في فقدانها معظم قطع اسطولها، إلى جانب نقص الإتاوات والهدايا التي كانت

تقدمها الدول الأوروبية للجزائر والتي في معظمها تجهيزات خاصة بالبحرية، بالإضافة إلى عدم مواكبة التطور الصناعي الحاصل في أوروبا.

- هدفت الدول الأوروبية من خلال القضاء على الإيالة الجزائرية إيجاد فرصة لأساطيلها في البحر الأبيض المتوسط والتخلص من دفع الإتاوات السنوية التي تقيدت بها مدة من الزمن، ولما أحست الدول الأوروبية باختلال موازين القوى نظرا لعدة تغيرات طرأت على ساحة البحر الأبيض المتوسط ولصالحها، بادرت إلى سن قوانين لإجبار الإيالات المغاربية للخضوع لإرادتها، وانتهجت استراتيجية تتسم بالمرحلية لتهديم اقتصاد الإيالة الجزائرية وقوتها، فبداية بإبطال عادة استرقاق المسيحيين ودور إكسموث في هذا الشأن لجأت إلى مرحلة أخرى فيما بعد لإجبار الإيالة على وضع حد لنشاطها البحري وفق قرار مؤتمر إكس لاشابيل.
- أحدثت حملة اللورد اكسموث على الايالة الجزائرية تأثيرات دولية وإقليمية تأثرت بها كافة الدول المتوسطية لما أحدثته من انعكاسات طويلة المدى كان لها الأثر البالغ في إحداث تغييرات جديدة على الساحة الدولية، وبذلك فإن الحملة قد كسرت جدار الحصن المنيع لإيالة الجزائرية والذي ظل صامدا طيلة ثلاثة قرون في وجه التحديات الأوروبية، و وبالرغم من أن هذه الحملة كانت تهدف إلى تهديد الجزائر لا لاحتلالها فإنها قد وفرت من جهة أخرى الأجواء الملائمة للاحتلال الفرنسي فيما بعد نظرا للتدهور العام الذي شهدته الإيالة الجزائرية.

وفي الأخير نسأل الله العلي العظيم أن نكون قد وفقنا في الإجابة عن إشكالية الدراسة، وأن يكون هذا الموضوع نافعا ومفيدا للطلبة، ونتمنى أن تكون هذه الدراسة فاتحة دراسات ذات بعد واسع حول الموضوع لإعادة النظر في جوانب أخرى للموضوع، إذ أن هذا ما يزيد من قيمة البحث التاريخي فنتمنى من المولى عز وجل السداد والتوفيق.

الملاحق

الملحق رقم01: غرناطة قبيل مصرعها ودول المغرب بعد الموحدين، المغرب بعد مصرع غرناطة وهجمات الإسبان على شواطئ المغرب الإسلامي

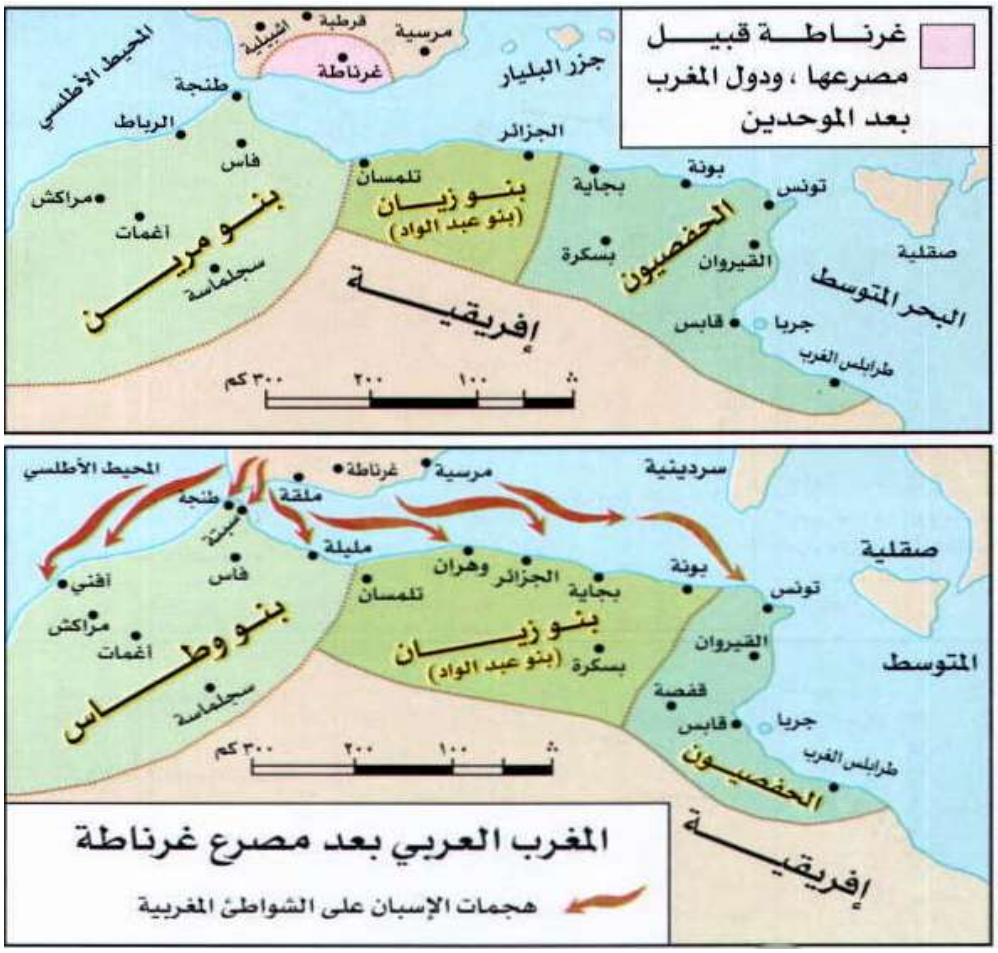

المصدر: شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر، طبعة محدثة مزيدة، دمشق سوريا، 1425هـ-2005م، ص84.

الملحق رقم02: رسالة أهالي الجزائر إلي السلطان سليم

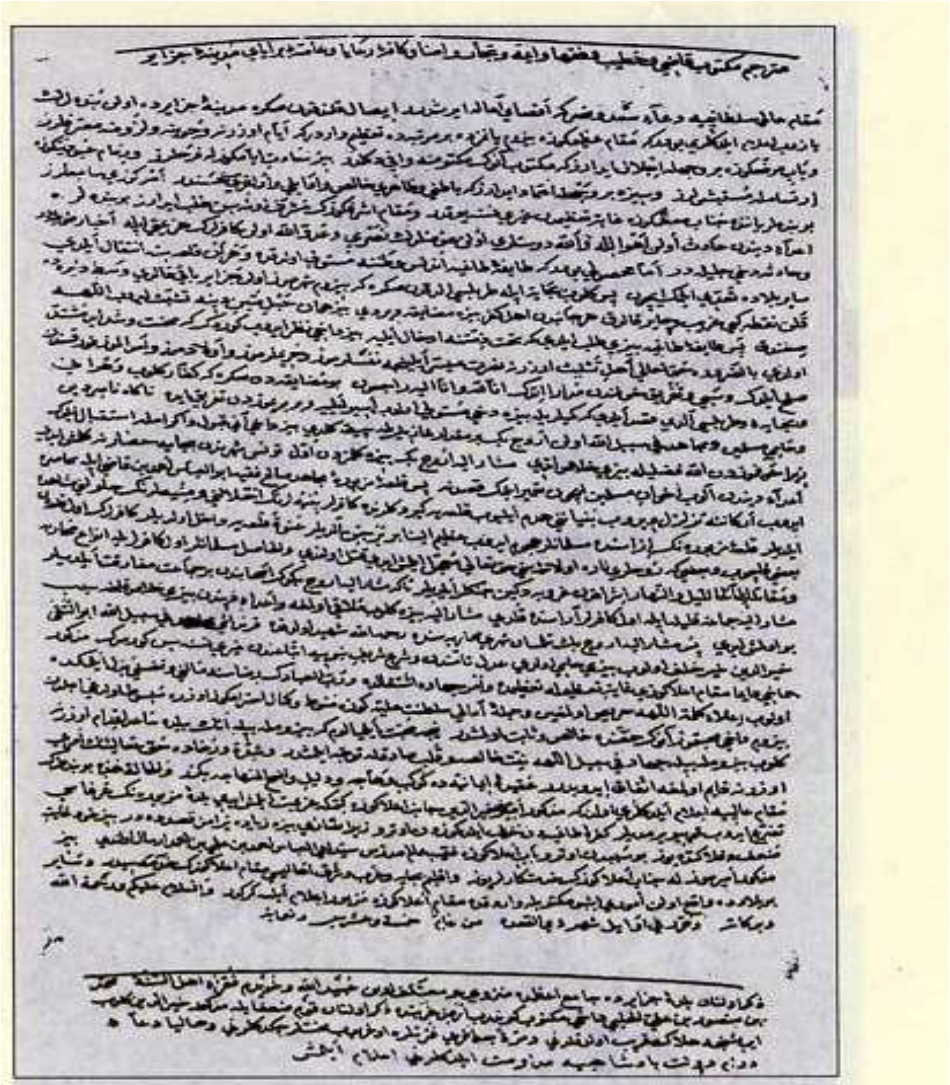

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 يعرضون فيها رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية.
(أرشيف قصر طوب كابي سراي، إستانبول. رقم: 6456)

- المصدر: مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، تر محمد دراج، ط1، الجزائر،شركة الأصالة للنشر، 2010 م.

ترجمة رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والائمة والتجار والامناء وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة.

اننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية، دعاء يبلغها اقصى الاماني، فان عبيدها يكتبون الى مقامها العالي معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم ابدا، وان رسالتنا هذه لا تستطيع ان نستعرض كل الاسرار. ان سعادة ايامكم هي فرحتنا ونحن لزمام اموركم و طاعتكم مستبشرون وعليكم لا محالة اعتمادنا . فظاهرنا كباطننا مخلص لكم أولا وأخرا . فقد أطعنا امركم وعبيدكم ليس لهم غير جنابكم يرفعون اليه غاية الاجلال التقدير وليس لهم من قصد غير شريف مقامكم العالي.

لقد جرت حوادث جليلة ولها اخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة اعداء الله. ومفادها ان طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الاندلس، انتقلوا منها الى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد. غير انه بعد استلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة في وسط الدائرة، وبقينا لذلك حياري متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ولكن تمسكنا بحبل الله المتين واتكلنا عليه. غير ان طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة ادخالنا تحت ذمته (سلطته) . وقد نظرنا في الامر ورأينا ان المحن والشدائد تشتد وان الضرورة تقضي بحقن دماء انفسنا وخوفا على حريمنا واموالنا و اولادنا من السبي والتفريق ، تصالحنا مع أهل التثليث و انا لله وانا اليه راجعون.

وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار الى وهران وبجاية وطرابلس وكان قصدهم ان يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتتون شملنا فجأة . آنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله اوروج باي مع ثلة من الغزاة . فقابلناه بالعز والاكرام واستقبلناه ، لأننا كنا في خوف (من عدونا) فخلصنا بفضل الله . وأوروج باي المشار اليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار وتأهيلها بالمسلمين . فلما وصل الى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن قاضي زلزلوا وهاجموهم وهدموا بنيانها ، وشاهد الكفار عندما دخل القلعة المسلمون وهاجموهم واستولوا عنوة على برج منها، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم هرب بعض الكفار الموجودين بالقلعة وقتل الباقون منهم.

لقد حارب المسلمون الكفار اناء الليل واطراف النهار من طلوع الشمس الى غروبها . على الرغم من ترك بعض من جماعة اوروج القتال، بقي المشار اليه يقاتل الكفار مع جماعة قليلة ، وكان قد عزم على

لقائنا غير أنه وقع شهيدا في حرب تلمسان رحمه الله . وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقى خير الدين وكان له خير خلف ، فقد دافع عنا ولم نعرف منه الا العدل والانصاف واتباع الشرع النبوي الشريف ، وهو ينظر الى مقامكم العالي بالتعظيم والاجلال ويكرس نفسه وماله للجهاد لرضاء رب العباد واعلاء كلمة الله ومناط آماله سلطنتكم العالية مظهرا اجلالها وتعظيمها . على ان محبتنا له خالصة ونحن معه ثابتون . وكيف لا نحبه وهو المشمر عن ساعد الجد والاقدام ، ويقود الجهاد معنا في سبيل الله بنية صادقة وقلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدة والرخاء لإعلاء كلمة الله . فالعقيدة الايمانية كوكب وهاج ودليل واضح المنهاج . ومفاد ما يريد عبيدكم اعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي ان عرفاء البلدة المذكورة رفعت ايديها متضرعة اليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار اذ هدفهم هو "النيل منا" ونحن على غاية الضعف والبلاء . ولهذا ارسلنا بابكم العالي الفقيه العالم المدرس أبو العباس أحمد بن علي بن احمد ونحن واميرنا وان المذكور حامل مكتوب وسوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام . اوائل ذي القعدة 925.

- عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية ، عدد6، جويلية/ يوليو1976، تونس، ص119-120.
- الرسالة موجودة بمتحف طوب كوبي تحت رقم:6456

الملحق رقم03: واجهة كتاب بيير دان

- Le pierre Dan : **Histoire de Barbarie et de ses Corsaires** ,chez pierre rocolet, Imprimeur & Libraire ordinaire du Roi, second Édition ,paris , 1646.

الملحق رقم04: نماذج لسفن من نوع قادرغة على اليمين والغليوط على اليسار [1]

[1]- أمين عطلي : نشاط البحرية، مرجع سابق، عن الأرشيف الوطني، ص 170.

الملحق رقم 05

[1]

[1]– احمد مفيد صالح باشا : البحرية. انظر موقع " http://www.arabency.com" ، يوم 8- 6- 2021م، على الساعة 14:30.

ملحق رقم06:

هجوم انجليزي– هولندي على مدينة الجزائر 1681

معركة بحرية بين الاسطول الجزائري والاسطول الإنجليزي –الهولندي

[1]سفن الاسطول الجزائري تحاصر سفينة حربية

قنصل الولايات المتحدة الامريكية يدفع الجزية لحكام الجزائر

[1] –وكيبيديا الموسوعة الحرة: موقع "https://ar.wikipedia.org/wiki/الأسطول البحري الجزائري ، يوم 8-06-2021، على الساعة 14:34.

الملحق رقم 07:[1]

الملحـــق ب

المفاوضات بشأن تحريم الـرق

مترجمة عن شول ، مختصر تاريخ معاهدات الســلام

الجزء الحادي عشر ـ مؤتمر فينا

تعود بداية التجارة فى العبيد الى أوائل القرن السادس عشر . ويعود عار اكتشاف هذه التجارة الى البرتغاليين . ففي سنة 1513 ، أدخلـوا العبيد الأوائل الذين اشتروهم أو سبوهم من افريقية الى المستعمرات الاسبانية فى أمريكا . فان بارثولمي لاس كازاس (Barthelemy las Casas) كان يرى فى هذه التجارة وسيلة للمحافظة على سكان الانتيل الأصليين من الانقراض ، فاقترح على الكردينال خيمينيس (Xemes) مباركة هذه التجارة وجعلها قانونية ، ولكن هذا القسيس رفض المشروع الذي صرح به شارل كينت فى سنة 1517 ، ومنح بريسا (Bressa) الذي كان يتمتع بالحظوة لديه ، احتكار هذه التجارة وسمح له بادخال 4000 عبد من الزنوج سنويا . وفى وقت لاحق تنازل عن هذا الاحتكار لجنوه .

وكذلك سمحت الملكة اليزابيت الأولى بالتجارة فى العبيد فى أنجلترا .

— 263 —

[1] وليام شالر: مذكرات قنصل الأمريكي وليام شالر في الجزائر، مصدر سابق

الملحق رقم 08:

الملحق ج

من المفاوضين الأمريكيين الى داي الجزائر

يتشرف الموقعون أدناه أن يبلغوا سمو داي الجزائر أن رئيس الولايات المتحدة قد عينهم للتفاوض معه فى شؤون السلم ، وأنهم ، طبقا للتعليمات التي يحملونها ، فهم مستعدون للدخول فى مفاوضات على أسس عادلة ومشرفة لاستعادة السلام والتفاهم والوئام بين البلدين . وهم يعتقدون أن من واجبهم أن يقرروا صراحة لسموه بأنهم لا يملكون صلاحيات للتفاوض معه الا على أساس من المساواة التامة ، وبنفس الشروط التي تعاقدت بها الدول الأكثر رعاية ، وأنهم لن يوافقوا على أية مادة تنص على دفع ضريبة للجزائر بأي شكل من الأشكال .

يتشرف الموقعون أدناه أن يرفقوا بهذه المذكرة ، رسالة من رئيس الولايات المتحدة ، وأن يغتنموا هذه الفرصة لتجديد تقديرهم الفائق واحترامهم لسمو الداي .

التوقيع : شالر ستيفان ديكاتور
على متن البارجة « لاجيريير »
29 يونيو 1815

[1]

[1] المصدر السابق

الملحق رقم09:

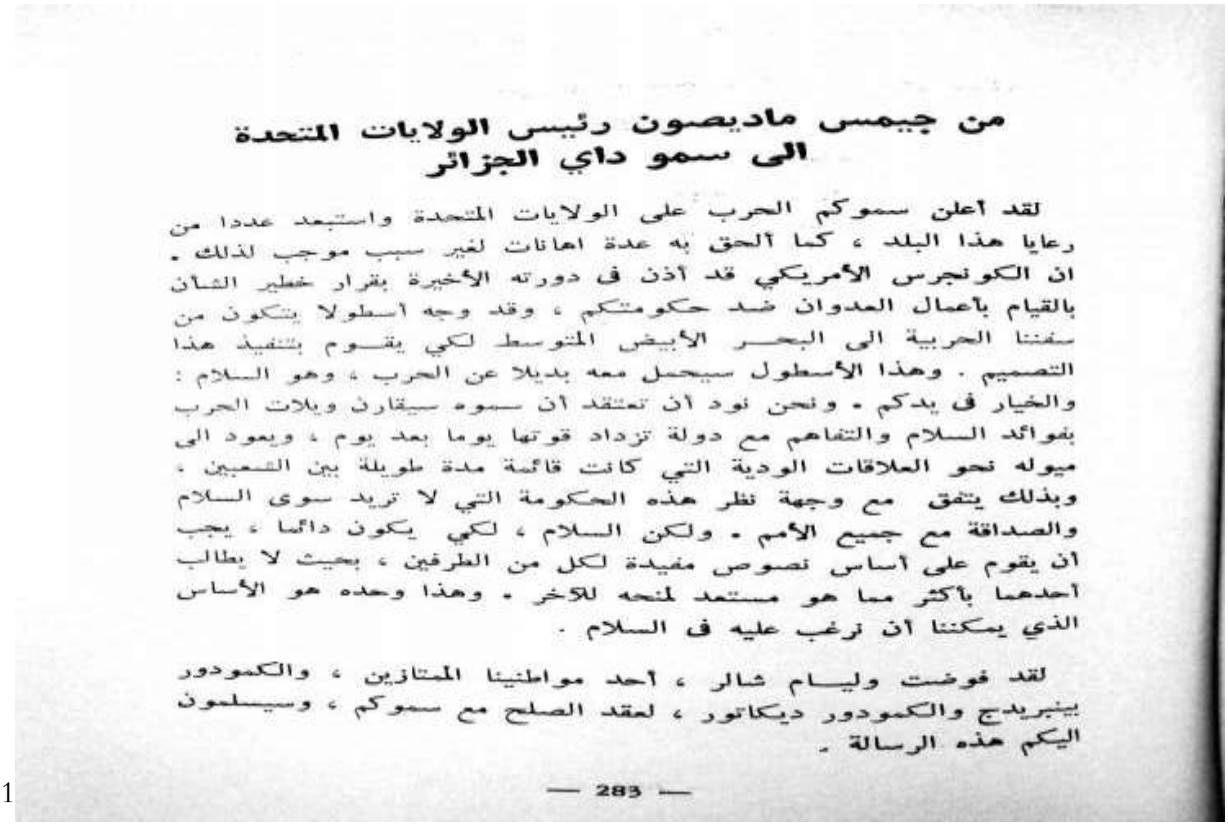

من جيمس ماديصون رئيس الولايات المتحدة
الى سمو داي الجزائر

لقد أعلن سموكم الحرب على الولايات المتحدة واستبعد عددا من رعايا هذا البلد ، كما ألحق به عدة اهانات لغير سبب موجب لذلك . ان الكونجرس الأمريكي قد أذن في دورته الأخيرة بقرار خطير الشأن بالقيام بأعمال العدوان ضد حكومتكم ، وقد وجه أسطولا يتكون من سفننا الحربية الى البحر الأبيض المتوسط لكي يقوم بتنفيذ هذا التصميم . وهذا الأسطول سيحمل معه بديلا عن الحرب ، وهو السلام : والخيار في يدكم . ونحن نود أن نعتقد أن سموه سيقارن ويلات الحرب بفوائد السلام والتفاهم مع دولة تزداد قوتها يوما بعد يوم ، ويعود الى ميوله نحو العلاقات الودية التي كانت قائمة مدة طويلة بين الشعبين ، وبذلك يتفق مع وجهة نظر هذه الحكومة التي لا تريد سوى السلام والصداقة مع جميع الأمم . ولكن السلام ، لكي يكون دائما ، يجب أن يقوم على أساس نصوص مفيدة لكل من الطرفين ، بحيث لا يطالب أحدهما بأكثر مما هو مستعد لمنحه للآخر . وهذا وحده هو الأساس الذي يمكننا أن نرغب عليه في السلام .

لقد فوضت وليام شالر ، أحد مواطنينا الممتازين ، والكمودور بينبريدج والكمودور ديكاتور ، لعقد الصلح مع سموكم ، وسيسلمون اليكم هذه الرسالة .

— 283 —

1

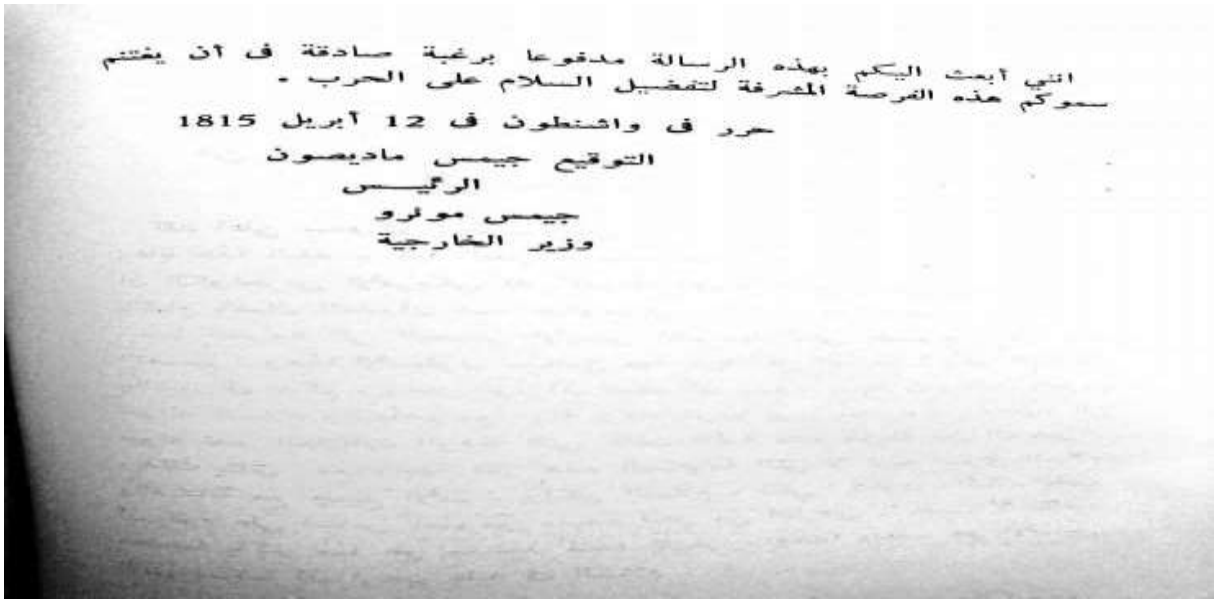

انني أبعث اليكم بهذه الرسالة مدفوعا برغبة صادقة في أن يغتنم سموكم هذه الفرصة المشرفة لتفضيل السلام على الحرب .

حرر في واشنطون في 12 أبريل 1815

التوقيع جيمس ماديصون
الرئيس
جيمس موئرو
وزير الخارجية

[1] المصدر نفسه.

الملحق رقم 10:

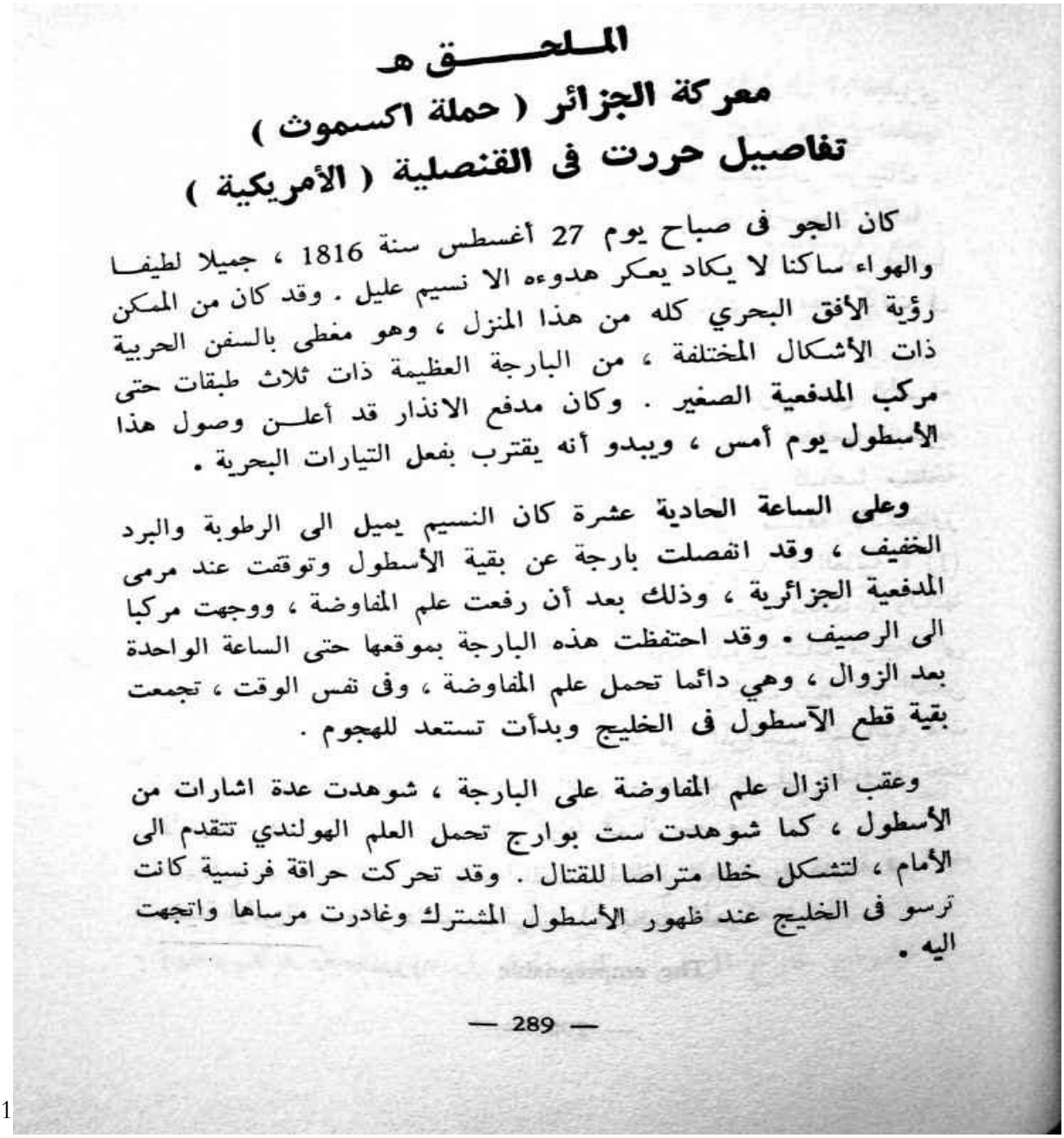

الملحـــــق هـ
معركة الجزائر (حملة اكسموث)
تفاصيل حررت فى القنصلية (الأمريكية)

كان الجو فى صباح يوم 27 أغسطس سنة 1816 ، جميلا لطيفـا والهواء ساكنا لا يكاد يعكر هدوءه الا نسيم عليل . وقد كان من الممكن رؤية الأفق البحري كله من هذا المنزل ، وهو مغطى بالسفن الحربية ذات الأشكال المختلفة ، من البارجة العظيمة ذات ثلاث طبقات حتى مركب المدفعية الصغير . وكان مدفع الانذار قد أعلـن وصول هذا الأسطول يوم أمس ، ويبدو أنه يقترب بفعل التيارات البحرية .

وعلى الساعة الحادية عشرة كان النسيم يميل الى الرطوبة والبرد الخفيف ، وقد انفصلت بارجة عن بقية الأسطول وتوقفت عند مرمى المدفعية الجزائرية ، وذلك بعد أن رفعت علم المفاوضة ، ووجهت مركبا الى الرصيف . وقد احتفظت هذه البارجة بموقعها حتى الساعة الواحدة بعد الزوال ، وهي دائما تحمل علم المفاوضة ، وفى نفس الوقت ، تجمعت بقية قطع الآسطول فى الخليج وبدأت تستعد للهجوم .

وعقب انزال علم المفاوضة على البارجة ، شوهدت عدة اشارات من الأسطول ، كما شوهدت ست بوارج تحمل العلم الهولندي تتقدم الى الأمام ، لتشكل خطا متراصا للقتال . وقد تحركت حراقة فرنسية كانت ترسو فى الخليج عند ظهور الأسطول المشترك وغادرت مرساها واتجهت اليه .

— 289 —

1

[1] وليام : مصدر السابق.

الملحق رقم 11:

الملحـــــق و
رسالة رسمية من اللورد اكسموث
عدد خاص من لندن ((جزيت))

يوم الأحد 15 سبتمبر 1815

وزارة البحرية ، 15 سبتمبر 1815

وصل القبطان بريسبان (Brisbane) قبطان سفينة جلالة الملك « كوين شارلوت » ، وصل فى الليلة الماضية وهو يحمل البرقية التالية من الأميرال اكسموث ، موجهة الى جون ويلصن كروكر (John Welson Broker) المحترم

خليج الجزائر ، فى 28 أغسطس 1815

سيـــدي ،

لم يصادفني فى حياتي الطويلة فى خدمة الدولة حـادث ملأ نفسي بأحدث الانطباعات وبالسرور والاعتراف بالجميل ، مثل نجاح الأمس . فان الانسان الذي كان أداة متواضعة فى يد العناية الالهية ، لكي يعيد الى رشدها حكومة قاسية ويدمر ، الى الأبد ، نظاما فظيعا لا يطاق لاستعباد المسيحيين ، أمر سيكون دائما مصدر للسرور والشرف . وكل شخص ساهم فى هذه العملية المجيدة من حقه أن يشعر بالسعادة تغمر نفســه .

اسمحوا لي بأن أقدم تهانئي الى اللوردات على النصر الكامل الذي أحرزه أسطول جلالة الملك فى الهجوم على مدينة الجزائر ، وعلى النتيجة السعيدة التي أدت الى توقيع معاهدة الصلح اليوم .

— 293 —

1

[1] وليام : مصدر السابق.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع**

قائمة المصادر:

باللغة العربية

1- التلمساني محمد بن رقية، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، مح، م، و، ج، ض، تع: خير الدين سعيدي الجزائري، الجزائر، ط1، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، 2017م.

2- التمكروتي علي بن محمد، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تق وتح عبد اللطيف الشّاذلي، المطبعة الملكية ، الرباط، 1423هـ/2002م.

3- الجزائري ابن ميمون، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق، تح، محمد بن عبد الكريم، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981.

4- خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، تق، وتح، محمد العربي الزبيري، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 2005.

5- الناصري محمد أبي راس، **عجائب الأسفار وطرائف الأخبار**، المركز الوطني في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، تق ، وتح محمد غالم ط، دت، وهران ،ج2

6- الزهار أحمد الشريف، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**، نقيب أشراف الجزائر، تح، أحمد توفيق المدني، ش، و، ن، ت، ط2، الجزائر.

7- الورتيلاني حسين، **نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار**، (الرحلة الورتيلانية)، مكتبة الثقافة الدينية، ج1،ط1،القاهرة، 2006.

8- الوزان حسن، **وصف افريقيا**، تر، محمد حاجي ومحمد الأخضر، ط2، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1983.

المـــصادر المـعرّبـــة:

9- بربروسة خير الدين ، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر .محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، .الجزائر العاصمة،2010.

10- شالر وليام ، **مذكرات شالر، قنصل أمريكا في الجزائر(1824 – 1816)**، تر .إسماعيل العربي، ش .و .ن .ت، الجزائر،1982.

11- كاثكارت جيمس ليندر، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر . إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

12- مجهول، **سيرة المجاهد خيرالدين بربروس في الجزائر**، تح، تق، تع، عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.

13- مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تح، نور الدين عبد القادر، دار المكتبة الأدبية، الجزائر، 1934.

المراجع العربية والمعربة:

01- ابن خلدون عبد الرحمان: **المقدمة**، ج1، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

02- أبو زكريا يحي ابن خلدون: **بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تق وتح وتع: عبد الحميد حاجيات ، ج1، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1986م.

03- أندري شارل جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تع، مربي البشير بن سلامة، ج2 ط2، الدار التونسية للنشر، 1985م.

04- أندرسون ماتيوس، **تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا** ، تعريب :نورالدين حاطوم، ط1 ، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1988م

05- بن خروف عمار: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والغرب**، في القرن العاشر الهجري/السدس عشر ميلادي، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،2008، الجزائر.

06- بروديل فرنان: **المتوسط والعالم المتوسطي**، تع: مروان ابي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1993.

07- بلحميسي مولاي: **الجزائر من الرحالة المغاربة في العهد العثماني**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

08- بوبكر محمد السعيد، **العلاقات السياسية الجزائرية الاسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري،1119 هـ، الثامن عشر ميلادي1708م**، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2015م.

09- بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من بداية ولغاية 1962م**، دار الغرب الاسلامي،ط1، بيروت، 1997م.

10- بوعزيز يحي، **الموجز في تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة والحديثة**، ج2، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009م.

11- بوعزيز يحي: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا (1830–1500)**، ديوان المطبوعات، الجزائر 1980.

12- تابليت علي: **الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770–1815**، منشورات ثالة، الجزائر،2006.

13- تابليت علي: **العلاقات الجزائرية الأميركية (1830–1776)**، ج1، د.ط، موم، الجزائر، 2013.

14- التر عزيز سامح ، **الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، تع: عامر محمود علي، ط1، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان 1989.

15- الجزائري أحمد: **كيف دخل الفرنسيون الجزائر**، نشر وتقديم صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت 1962.

16- حساني مختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الوسط**، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 2007

17- حسن محمد إبراهيم: **دراسات في جغرافية أوروبا والحوض البحر المتوسط** ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1999.

18- حليمي عبد القادر: **مدينة الجزائر ونشأتها وتطورها قبل1830**، المطبعة المغربية لدار الفكر الإسلامي،1972.

19- خلاصي علي: **البحرية الجزائرية عبر التاريخ**، المتحف المركزي للجيش، الجزائر،1985.

20- خلاصي علي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، ج2، الجزائر الحديثة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007.

21- دراج محمد، الدخول **العثماني الى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1534)**، تص، ناصر الدين سعيدوني، شركة الاصالة للنشر، ط2، 2013م.

22- سبنسر وليام، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تح، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م.

23- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، (**1500م-1830م**)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

24- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، (**1500م-1830م**)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م

25- سعد الله عمر: **القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر**، دار هوية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007.

26- سعيدوني الناصر، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009م.

27- سعيدوني ناصر الدين، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1793-1830)**، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، 2012.

28- سعيدوني ناصر الدين، والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، د، ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م

29- شوفاليه كورين ، **ثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510/1541**، تر، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعي، (د، ط)، 2007.

30- شويتام أرزقي، **مجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، (926هـ-1246)**، (1519م-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.

31- شويتام أرزقي: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.

32- عباد صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م**، الجزائر، دار هومة، ط3، 2011.

33- عبد الحميد ابن ابي زيان بن اشنهو، **دخول الأتراك العثمانيون الى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، د، ط، الجزائر، 1982م.

34- عبد العليم أنور: **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1979.

35- العدوي إبراهيم احمد: **الأساطيل العربية في البحر المتوسط**، مكتبة النهضة، القاهرة، 1957.

36- العقاد صالح: **المغرب في التاريخ الحديث والمعاصر "الجزائر، تونس، المغرب الاقصى"**، ط6 ، مكتبة الانجلو المصرية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة،1993.

37- غطاس عائشة وآخرون: **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007.

38- فكاير عبد القادر، **الغزو الإسباني، لسواحل الجزائرية وأثره(910هـ-1206هـ/1505م-1792م)**، ط2، دار هومة للنشر، الجزائر، 2012م.

39- قنان جمال: **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1980**، الجزائر، 1982.

40- لطف الله عقيل: **تاريخ الجزائر الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة دمشق،2014.

41- المحامي محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح، إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1971م.

42- محمد سي يوسف: **أمير الجزائر علج علي**، دار الأمل للطباعة والنشر، 2009.

43- المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492و1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1984.

44- مروش المنور: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة ، الأساطير، والواقع**، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

45- الميلي مبارك: **تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر،2012.

46- نايت بلقاسم مولود قاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**، ج1، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

47- النخيلي درويش: **السفن الاسلامية على حروف المعجم**، ط2، دار المعارف، الاسكندرية،1979.

48- هلايلي حنيفي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، د، ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م.

49- هلايلي حنيفي: **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر.

50- هلايلي حنيفي: **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815–1830**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

51- وولف جون ب، **الجزائر وأوروبا (1500–1830)**، تر وتع، أبو القاسم سعدالله، ط، خ، الجزائر، 2009م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1. .(CH.J) Hefele: le Cardinale Ximenes et L'èglise d'Espagne, trad par M.L'abbè A.sisson et M.L'abbè A. crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire, Paris1860.

2.F. Braudel, les espagnol en Algérie, in Histoire et historien de l'Algérie,Félix Falcan, Paris,1930.

3. F. Braudel, La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à L'époque de philipe 2, 5 éme édition, A.Colin, Tome2,1982.

4. De HAEDO (Fray Diego de), De la captivité à Alger, trad. par Moliner-Violle, Alger, 1911.

5. De Haedo Fray Diego de, Histoire des rois d'Alger ,trad et annotée par H. Grammont, ALGER, 1881.

6. De Haedo Fray Diego, Topographie et Histoire générale d'Alger, Tr. Mounreaut et Berbrugger, 1870.

7. Devoulx (A) : Tachrifat Recueil de Notes Historique sur L'administration de l'ancienne Régence d'Alger, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852
8. Devoulx Albert :La marine de la régence d'Alger , revue Africain,1869
9. Grand champ .p: le document relatif a course Tunis .paris
10. Henri Delmas Grammont :Histoire d'Alger sous la domination turque 1830-1515, collection 25 XIX, France. 1887 .
11. M,DE .La Primaudaie, «documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique » in R.A 19. 1875.
12. M.D. Gramment : De Relations entre la France et la régence d'Alger ou xv siècle ,1er partie ,in R .N.23 , 1879.
13. le pierre dan : histoire de Barbarie et de ses corsaires. Chez pierre rocolet. Imprimeur libraire ordinaires du roi, second édition, paris, 1646.
14. Plantet ,E : correspondance de deys d'Alger avec la cour deFrance , T .1 ,éditions Bouslama., Tunis.
15. Raunal (G.T) : Histoire des établissements du commerce des européens dans l'Afrique septentrional, la découverte

الدوريات:

1-إبلالي أسماء، **التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10(هـ-16م)**، قراءات في الدوافع والنتائج مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد2، 2017م.

2- بن سعيدان محمد: **الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن11هـ/17م**، مجلة الحوار المتوسطي، مج 12(13) ،ديسمبر 2017 .

3-- جحيدر عمار: **البحرية الليبية وحرب اليونان (1821-1828)**، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 1-2، 1990.

4-حماش خليفة: **الجزائر والحرب العثمانية اليونانية (1821-1827)**، المجلة التاريخية المغربية، العدد 65-66، 1992.

5- رحمونة بليل: **دور العمل البحري في اقتصاد إيالة الجزار خلال القرن الثامن عشر**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 2 مارس 2019، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس –الجزائر.

6- زيتوني إسحاق: **تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية**، المجلة التاريخية، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، عدد 09، سبتمبر 2018م.

7-شقرون الجيلالي: **العلاقات بين إيالة الجزائر والولايات المتحدة الامريكية خلال العهد العثماني 1776-1830م**، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، مارس 2018، ع40.

8-شودار مبارك وصحراوي عبد القادر: **التكتل الأوروبي ضد الجزائر فيما بين 1815-1819م** وتداعياته، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، العدد 1، مارس 2018.

9-الصفصافي أحمد: **الدولة العثمانية والولايات العربية**، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 29-30، تونس، 1983.

10- هلايلي حنيفي: **التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دار الهدى للطباعة ، العدد-24، عين مليلة، ديسمبر، 2007.

11- هلايلي حنيفي ، **"القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر العثمانية** ، مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة سيدي بلعباس ، العدد الرابع ، أبريل 2005.

12- هلايلي حنيفي: **الوفاق الأوروبي وانعكاساته على إيالة الجزائر**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13-14، ديسمبر 2016.

الرسائل الجامعية:

1-بيشي رحيمة، **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية، (898هـ-982هـ/1494م-1574م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص تاريخ الحديث، (ع، م)، المركز الجامعي بغرداية، 2012م.

2- بوشاهد هشام وفراقة عبد الحميد: **البحرية الجزائرية ونشاطها في البحر المتوسط(1518-1830)**،مذكرة ماستر في التاريخ العام، جامعة 8ماي 1945،قالمة 2015-2016.

3-حدون حكيمة و بن رنجة خديجة: **مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات حرب اليونان نموذجا 1821-1829**، مذكرة ماستر ، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، 2015-2016.

4-ديلمي سارة وبرة نجية: **البحرية الجزائرية ودورها في الصراع الإسلامي المسيحي خلال العهد العثماني(1514-1830)** مذكرة ماستر تاريخ الجزائر الحديث، جامعة بوضياف المسيلة،2019-2020.

5-رحمونة بليل، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 – 1830م** ، أطروحة دكتوراه إشراف دحو فغرور، قسم التاريخ، وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران ، 2010 -2011.

6-زبارة سامية: **الجهاد البحري في الجزائر العثمانية(1520م-1827م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2014م.

7- زيتوني إسحاق: **البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519-1800)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، 2011-2012.

8-سرحان حليم: **تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على العهد العثماني (920-1240)/(1514-1830) من خلال المصادر التاريخية والأثرية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، اشراف صالح بن قربة ،معهد الآثار ،جامعة الجزائر، 2007-2008.

9-شودار مبارك: **حملة اللورد اكسموث على مدينة الجزائر 1816م وتأثيراتها الإقليمية والدولية**، رسالة ماجسيتر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس الجزائر عن كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية 2014-2015.

10- عائشة جميل، **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني (1520م-1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017م.

11- عطلي محمد الأمين: **نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17م وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، المركز الجامعي غرداية،2011-2012.

12- مشوشة سمير: **الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين 11-12هـ/ 17-18م** ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2018-2019م

الأطالس:

01- شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر، طبعة محدثة مزيدة، دمشق سوريا، 1425هـ-2005م.

المعاجم:

01- البعلبكي منير: معجم أعلام المورد وموسوعة التراجم الأشهر أعلام العرب والأجانب، القدامى والمحدثين، مستقاة من موسوعة المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م.

Dictionnaire :Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991.

ملخّص:

عرفت الجزائر قبل التواجد العثماني تمزقا سياسيا وكثرة التحرشات الإسبانية، مما أدى إلى ظهور العثمانيين وبروز دورهم في صد العدوان الصليبي، وظهور الجزائر كإيالة قوية بعد انضمامها للدولة العثمانية، حيث صبّ جل اهتمامهم في تقوية القوة البحرية لصد العدوان فاهتموا ببناء الأسطول البحري الجزائري الذي لم يكن يضم سوى أربع قطع فقط، لكنه دعم بقطع أخرى بعدئذٍ مما جعله يتطور بسرعة، وهذا ما مكنه من بسط سيطرته على الحوض الغربي للمتوسط لمدة 3 قرون. ومما زاد في قوته وهيمنته دحره للهجومات الأوروبية المتكررة، هذه الهيبة دفعت حكومة الإيالة الجزائرية لفرض ضريبة على السفن المبحرة عبر المتوسط مقابل توفير الحماية لها وقد خضعت الدول الأجنبية كافة لهذا القانون بما فيها فرنسا، وهولندا، واسبانيا، وانجلترا، والولايات المتحدة الامريكية، وغيرها، فكانت هيبة الأسطول في تلك الحقبة (1518-1827) الأساس في فرض هيبة الجزائر دوليا.

كما كانت تحتل مكانة خاصة في دولة الخلافة، إذ كانت تتمتع باستقلال كامل مكنها من ربط علاقات سياسية وتجارية مع أغلب دول العالم، وابرمت عشرات المعاهدات مع دول العالم، وذلك بفضل اسطولها حيث بلغ قوة عظيمة بحيث استطاع إحداث نظام للملاحة في المتوسط يضمن أمن الإيالة الجزائرية خاصة، والدولة العثمانية عامة، وبصورة أعم بالنسبة للتجارة الدولية في هذا البحر، وهو ما جعل الدول الأوروبية تعمل على إنهاء هذا النظام تحت غطاء إنهاء ما كانوا يسمونه بالقرصنة بينما هو في حقيقة الأمر جهاد بحري، رغم أن جموع المغامرين الأوروبيين كانوا يمارسونها بموافقة دولهم ، فبادرت فرنسا في مؤتمر فيينا(1814-1815) بطرح موضوع إيالة الجزائر فاتفق المؤتمرون على تحطيم هذه الدولة في مؤتمر إكس لا شبيل عام 1819م، حيث وافقت الدول الأوروبية على فكرة القضاء على الجزائر وأسندت المهمة إلى فرنسا وانجلترا، وتوفرت الظروف المناسبة للغزو عندما تمكنت بحرية البلدين من تدمير الأسطول الجزائري الذي كان يشكل لهم هاجس الخوف في معركة نافرين سنة 1827م وبذلك انتهت السيطرة الجزائرية على البحر الأبيض المتوسط.

الكلمات المفتاحية: الجزائر العثمانية-الدولة العثمانية-الأسطول الجزائري-الدول الأوروبية- القرصنة، الجهاد البحري.

Abstract

Before the Ottoman presence, Algeria experienced a political rupture and many Spanish harassments, which led to the emergence of the Ottomans and the emergence of their role in repelling the crusader aggression, and the emergence of Algeria as a strong nation after its accession to the Ottoman Empire, where he poured most of their interest in strengthening the naval force to repel the aggression and they were interested in the construction of the Algerian naval fleet, which included only four pieces, but supported other pieces then, which made it develop rapidly, which enabled him to extend his control over the western basin of the Mediterranean for 3 centuries . Further strengthened and dominated by repeated European attacks, this prestige prompted the Algerian Government to tax ships cruising across the Mediterranean in exchange for protection, and all foreign countries, including France, the Netherlands, Spain, England, the United States of America and others, were the basis for imposing Algeria's prestige internationally. It also occupied a special place in the caliphate state, where it enjoyed full independence, enabled it to link political and trade relations with most of the countries of the world, and concluded dozens of treaties with the countries of the world, thanks to its fleet, where it reached such a great power that it was able to establish a navigation system in the Mediterranean that guarantees the security of the Algerian administration in particular, the Ottoman State in general, and more generally for international trade in this sea, which made the European countries work to end this system under the cover of ending what they called Piracy, while it is in fact a maritime jihad, although the masses of European adventurers were practicing it with the consent of their countries, France initiated at the Vienna Conference (1814-1815) to raise the issue of the Algerian ism, and the conference agreed to destroy this country. At the X-La Spiel conference in 1819, where European countries agreed to the idea of eliminating Algeria and assigned the mission to France and England, and the conditions for the invasion were created when the freedom of the two countries was able to destroy the Algerian fleet, which was obsessed with fear in the battle In 1827, Algerian control of the Mediterranean ended. **Keywords**: Ottoman Algeria - Ottoman Empire - Algerian Fleet - European Countries - Piracy, Maritime Jihad.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الشكر

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....02

الفصل الأول: أوضاع المغرب الأوسط نهاية ق 15م وبداية القرن 16م

المبحث الأول : الظرفية التاريخية للمغرب الأوسط نهاية القرن 15م وأهمية الحوض المتوسطي..... 09

المبحث الثاني : الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية 15

المبحث الثالث: بروز الإخوة بربروس كقوة بحرية وانضمام الجزائر للدولة العثمانية.....25

الفصل الثاني: كرونولوجيا تشكل الأسطول الجزائري وأدواره المختلفة

المبحث الأول : تشكل الاسطول وتطور نشاطه البحري 31

المبحث الثاني:الموارد البحرية للأسطول ودورها الاقتصادي.....48

المبحث الثالث:طبيعة العلاقات الخارجية للجزائرية العثمانية 59

الفصل الثالث: عوامل تراجع الاسطول وآثاره على مكانة الجزائر العثمانية

المبحث الأول : الحملات الأوروبية على الجزائر العثمانية..... 69

المبحث الثاني: المؤتمرات الدولية والبحرية الجزائرية 76

المبحث الثالث: معركة نافرين وأثرها في تحطم الأسطول.....82

الخاتمة: 90

الملاحق: **93**

قائمة المصادر والمراجع **106**

- **الملخص:** **117**

فهرس المحتويات: **119**

الحمد لله